سلسلة اعلام الفكر العالمي





تأليف : جان غوريه

ترجمة : منى النجار الرافعي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

شارل فورييه

سلسلة اعلام الفكر العالمي

شارل فورييه

تأليف : جان غوريه
ترجمة : منى النجار الرافعي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة - ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب : ١٩٥١١٩
برقيا : موكيالي - بيروت

طبعة اولى (يناير) ١٩٧٨

المقدمة

لمحة عن العصر الذي عاش فيه فورييه

ينتمي فورييه الذي ولد عام ١٧٧٢ الى عائلة من تجار بوزونسون الموثرين · وقد شهد فورييه قبل وفاته في باريس عام ١٨٣٧ تعاقب ثمانية انظمة سياسية وهي : الملكية المطلقة، والملكية الدستورية والجمعية التأسيسية ، والمجلس الاداري ، والقنصلية ، والامبراطورية ، وعودة الملكية ، وملكية لويس فيليب البورجوازية · ولم تعرف الحياة الاقتصادية الفرنسية الاستقرار في هذه الفترة التي تميزت بالبلبلة السياسية ، فقد خلفت الرأسمالية الصناعية الرأسمالية المركانتيلية ، وحلت البورجوازية محل النبالة وسط ازمات خطيرة ·· وبقيت طبقة الفلاحين فقيرة رغم اعادة توزيع الاموال العائدة الى الاقطاع، وحل استعباد عمال المدن مكان استعباد الفلاحين الذي كان سائدا في الملكيـــة المطلقـــة · ومن سوء الاوضاع ، زوال النقابات المهنية ومجلس المحلفين عام ١٧٧٦ وحظر الانتماء

النقابي على العمال عام ١٧٩١ ·· لقد فشل العمال المنقسمون على انفسهم في نضـــالهم للحلول مكان ارباب العمل ، في المؤسسات التي كانت لا تزال تحـــافظ على طابعها الحرفي ، لعجزهم عن معرفة كون المضاربين هم المسيطرون الفعليون على المنتجين · وقد بلغت البطالة أوجها في هذه المرحلة فقد كان هناك عام ١٨١٢ ، عاطل عن العمل من اصل اربعــة عمــال ، كما شجعت الحروب والفوضى الناتجة عن ثورة عام ١٧٨٩ اعمال المستغلين ومناورات المحتكرين والتهريب والتجارة غير المشروعة والسرقة ···

لقد نما فورييه وتطور في هذه المرحلــة الانتقالية من المجتمع الزراعي والتجاري القديم الى المجتمع الصناعـــي الحديث فجاء انعكاسا للتناقضات القائمة ، وارتكز على انتقاد الاعمال التجارية ورمى الى خلق مجتمع جديد تدعم فيه افراح الاعمال الزراعية ملذات النشاط الصناعي ·

كره فورييه حسابات التجــار الا انه احب الرياضيات وتمنى دراسة الهندسة العسكرية ولكن عمل ابيه في التجارة حال دون تحقيقه هذه الرغبة في وقت لم تكن فيه الثورة قد وضعت بعد حدا لميزات النبلاء ، ولكن فورييه لم ييأس، فقد فهم الطفل الذي ولد ونشأ في المشاغل الميركانتيلية ان قدره هو كشف «ألاعيب التجارة» لقد أقسم، وهو في السابعة بعد انزال احدى العقوبات به، لقوله الحقيقة فيوقت حرج، اقسم على كره التجارة الى الابد الا انه اضطر بعد بلوغه مرحلة الشـباب الى ادارة محل تجاري والقيام برحلات تجارية والسمسرة ·· وهنا ايضا لم ييأس فورييه « فاذا عجز عن ان يصبح مهندسا

فلا بأس من ان يتحول الى عبقري ينتقد « الخداع التجاري » « يولف » العالم الصناعي والعاطفي الجديد » فالقـدر الذي انتزعه من الدراسة لينفيه ويحبسه في فرع احد المصـــارف اجبره على تثقيف نفسه وتنمية موهبة الاختراع التي حبتـه بها الطبيعة ··

ويجمع كتاب سيرة فورييه على ذكر النص الذي تصـبح فيه تفاحة جديرة بالشهرة ، لانها وجهت بصورة نهائية افكار الكاتب نحو الانتقاد التجاري · فقد قرر فورييه تنظيم ومنهجة تساؤلاته حول « الفوضى الاساسية في الآلية الصناعية » بعد ان أثاره ارتفاع سعر التفاحة من وحدة الى مئة وحدة بين مركزين لا يبعد احدهما عـن الاخر اكثر مـن ثلاثين فرسخا (١٢٠ كلم تقريبا) ·

ويعرف فورييه انه ليس ضحية للتناقضات التجارية بوصفه مستهلكا فقط بعد ان وجد نفسه ينفذ بحكم قوة الاشياء بعض الاستحالات الاقتصادية، هو الذي كان يحلم منذ طفولته بكشف نفاق التجارة والقضاء على اسبابه، «لقد لجأت بوصفي تاجرا الى هذه العمليات الشائنة فألقيت في البحر عشـرين كنتالا من الارز كان يمكن بيعها بربح معقول قبل فسادها لو لم ينتظر المالك المتعطش الى الربح ارتفـــاع اسعار الارز طويلا » · لقد عانى فورييه من عمله في نظام انتاج ومبادلات يتميز بالاسراف · فهو يقبض لاتلاف انتاج الآخرين · هذه العملية التي تتناقض مع مبدأ الاستهلاك الطبيعي للاموال ·

يحاول فورييه، في اوقات فراغه القليلة، التنقيب والبحث عن اسباب الضياع والاسراف الذي يتصف به الاقتصاد واكتشاف مجتمع يتوالد فيه الادخار والاستهلاك · ومن هنا ينشأ التناقض المستمر بين الحضارة التي تفتقر والتناسق المدخر لاسرافه « ستتحول الوفرة الى آفة دورية كالمجاعة اليوم ، سيضطر دعاة التوازن ، رغم تقديمهم مأكولات وأطعمة الانسان الى الحيوانات ، الى القاء مجموعة من المنتجات التي يمكن ان تقدم اليوم على احسن المآدب في البحر والمزاريب ، يضحون بها غير آسفين لانهم يعرفون أن هذه الوفرة ضرورية للمحافظة على « نظام التناسق » · ويصبح مثل هذا التبذير ممكنا بفضل تضافر « العامل الايجابي والعامل السلبي » المكون من الخسارة التي امكن تجنبها ·· فالوفرة تساعد على تنظيم الاحتفالات الضخمة وتحول دون تولد الازمات · وسيصبح الاستهلاك غاية بحد ذاته (اشباع الحاجات) ووسيلة (دافعا الى مزيد من الانتاج الافضل) وسيجد العمل في نفسه سبب وجوده (تعبير عن الكمونية الانسانية) كما لا يجد سبب وجوده في منفعته (صنع الاموال الاستهلاكية) ·

لقد بحث فورييه عن النمط بين وظائفه المتناقضة، وظيفة العامل ووظيفة المستهلك، متبعا الطريق الذي يشكل « انعطافا نظريا » فأمضى اوقات فراغه في البحث عن الحقيقة حتى تتمكن الانسانية من بلوغ العهد السعيد في تاريخها ، رغم انه يكفي « في النظام المركب التمتع بالانتاج » ·

فبدلا من ان يحاول فورييه تطوير ميوله الخاصة فضل تصور مجتمع لا يضطر فيه الانسان الى بلوغ منتصف العمر

قبل اكتشاف عاداته الخاصة • ففي النظام الحضاري تعرقل، «الاحكام المسبقة والخوف من السخرية ونقص الفرص، تطور المزايا بكافة فروعها • لقد اكتشفت صدفة وأنا في الخامسة والثلاثين حبي للسحاقيات وميلي اليهن » •

يكمن في الحب منبع كل سخاء وكرم، ويلاحظ فورييه في هذا السبيل اعلان بعض الالعاب الحضارية لمرحلة « النظام المركب » وهو يأسف لجهل معاصريه سحر الاجتماعات الرباعية والسداسية والثمانية ، تأملوا هؤلاء النسوة اللواتي يرتدن الاجتماعات السداسية ، فهن يملكن ثقة لا تتزحزح بالنفس وقدرة على المناورة ويختلفن تمام الاختلاف عن ربات البيوت الغبيات التافهات • كذلك لا نستطيع اعتبار كل نشاط ينتمي الى مجتمعنا هذا • ويذكر فورييه عدة امثال يظهر فيها « البذل الانساني الجماعي » الذي يجسد ويمثل الصناعة في مرحلة التناسق كمثل الرجال الذين انحبسوا صدفة وسط المياه فبذل رفاقهم الذين اثارت الصداقة حميتهم نشاطا غير طبيعي ، هؤلاء الرفاق استاؤوا من عرض المكافأة المالية عليهم وبذلوا لانقاذ رفاقهم المعجزات التي اكدها المطلعون عجز الاجراء عن صنعها في عشرين يوما • هنالك اذن بعض الاعمال التي تنفي « النظام الخاطىء » ولكن ما هي المناورات التي تعد النشاط المتناسق قوتهيىء له وما هي الاعمال التي تتيح النفاذ الى خارج الحضارة ؟ يشكل هذا الانتقال تاريخيا تحليلا للعمل واللعب لانه سيجري الفصل بين بعض صفات هذه النشاطات للابقاء على بعضها والتخلي عن بعضها الاخر لجعل الصناعة جذابة •• في العصور القديمة فرق التفاوت

الطبقي بين الرجال الذين يقضون اوقاتهم في ممارسة النشاطات الذهنية والمفكرية النبيلة والعبيد الملتفتين الى العمل المنتج ٠٠ وقد منحت ثورة ١٧٨٩ للجميع الحق الحضاري بالتمتع ببعض اوقات الفراغ ، فحل الفصل الزمني مكان التعارض بين العمل واللعب في الحيز الاجتماعي ولم يقض عليه ، ومن هنا نشأت التناقضات التي تميل الى القضاء على الجنس الانساني وعلى الطبيعة ذاتها ٠٠٠ ففي هذا العصر الذي تتفتت فيه الجبال لسوء ادارة دعاة التحضر وبربريتهم وتجف الينابيع وترتفع الحرارة ويكثر الجفاف والفيضانات وتتداخل وتتشابك الفصول بلا توقف ، تضاهي اهمية التحول الاجتماعي اهمية التحول الطبيعي لان « فساد الفصول يرافق انحلال المجتمعات » لا بد اذن من اعادة صنع الطبيعة (التي يعتبرها البعض خطأ الاصل البعيد للملذات العفوية التلقائية) باستعمال الثروات التقنية التي تحاول اتلاف الطبيعة ظاهريا ٠

ولا يدعو فورييه ابدا الى العودة الى الطبيعة لانه يعتقد ان الطبيعة لا تكتمل طالما ان الناس لم ينظموا حياتهم المشتركة وفقا لقوانين « الحركة الاجتماعية » ٠ وتعتبر احالة فورييه على الطبيعة تحريضا لانتقاد الحضارة التي تعرقل تفتحها وللحث على اقامة النظام الاشتراكي الذي يتيح انطلاقها ٠ « راعوا صفة الانسان الاجتماعية ولكنهم لم يلاحظوا امكانية وجود نظامين للمجتمع « النظام المجزأ » « والنظام المتناسق » الدولة غير الاشتراكية والدولة الاشتراكية ٠ والفرق بينهما هو كالفرق بين الحقيقة

والبهتان بين الغنى والفقر وبين النور والديجور ·· وتكتفي المعارضة البسيطة بالاشارة الى الخطأ او وصف الاجراءات الفاسدة ، بينما تحدد المعارضة المتناسقة العمـــل الواجـب اتيانه ···

وتحتوي مؤلفات فورييه « كنظرية الوحدة الشاملة » على موضوعين متميزين ، النظريـة المباشرة او بيـان الافكـــار المتداعية ، والنظرية غير المباشرة او انتقاد الصناعة المجزأة المسماة بالحضارة ·

وتحليل الحضارة هو دراسة مستحدثة وكذلك هو حال « تحليل الجاذبية وتصارع الاضداد فيها » التي تنتمي الـى الماورائيـة التي يضبطهـا الفلاسفة · ولكن فورييه لا يريد ان يكون عالما ماورائيا او اخلاقيا، فهدفه هو اظهار امكانيةانتقال كرتنا الى مرحلة التناسق بفضل اكتشافاته وانطلاقة الصناعة الكبرى ·

الفصل الاول

تحليل الحضارة

١ ـ التاريخ والحضارة ٠

٢ ـ الاهواء الجذرية الاثنا عشر ٠

٣ ـ عمل الحضارة ٠

٤ ـ اللامنتجون في النظام الحضاري ٠

٥ ـ العائلة في المجتمع الحضاري ٠

٦ ـ التربية في المجتمعات الحضارية ٠

٧ ـ انحراف دور الاهواء ٠

٨ ـ الخلاصة دائرة الحضارة المفرغة ٠

١ ـ التاريخ والحضارة

يعتقد فورييه بوجودماهية تاريخية واخرىعاطفية للطبيعة٠٠ فالتاريخ هو الذي يعمل والاهواء هي التي تؤثر ٠٠ ولا بد من مراقبة « تطور الحركة الاجتماعية » اي تاريخ الاهواء لفهم التعارض والتناقض القائم ما بين « النظام المتفكك المتهافت » « والنظام الاشتراكى » الذي يغطي « موانع انطلاق » الاهواء المعاقة المتحضرة كما يشمل انطلاق العواطف في نظام الانسجام والتآلف ٠٠٠

ويبين جدول تطور الحركة الاجتماعية (١) تعاقب منحنيين في تاريخ الكرة الارضية ، أحدهما تصاعدي والاخر تنازلي وكلاهما منقسم الى مرحلتين متعارضتين « فوضى وانسجام » يفصل بينهما مرحلة محورية تبلغ فيها السعادة ذروتها وتمر المرحلة الفوضوية او المتهافتة في سبع مراحل بينما تمر المرحلة التناسقية في تسع مراحل ٠٠

ويحدد فورييه وجوده في الجزء الثاني من « الفوضى التصاعدية » حيث يسود الجهل والفلسفة هذا الجزء المتميز « باصطدام العواطف بسبب الافتقار الى الفن الاجتماعي » تاريخ الكرة الارضية ينقسم الى سبع مراحل خمس منها تعيسة فوضوية تحيط بها المرحلتان الاولى والاخيرة وتسميان ظل السعادة وفجر السعادة ٠٠٠

وتبدو المراحل الاربع الاولى وهي = عدن ، الهمجية او التوحش ، نظام الابوة ، التخلف الحضاري ، تبدو وكانها تراجع للتاريخ الذي يستعد لبلوغ مرحلة الضمان التي تلي مرحلة الحضارة والمدنية ثم تأتي مرحلة الاشتراكية لاتمام القفزة الناقلة من مرحلة الفوضى والتهافت الى مرحلة التناسق والتآلف ٠

تشبه الحركة الاجتماعية في المرحلة الاولى صورة رجل يتراجع الى الوراء ويستعد للقفز ولاجتياز ، بصورة افضل ، الحفرة الموجودة امامه ٠ ويمثله فورييه في جدول المرحلة الاولى من العالم الاجتماعي (٢) بالكلمات الآتية : تراجع ، اندفاع ، قفزة ٠٠٠

التراجع هو الانحدار في المرحلة الاولى السعيدة والسقوط في المرحلة الرابعة التعيسة حيث يكتسب الانسان قوة جديدة : التقنية الزراعية والتطور الصناعي التي تمنح الانسان بتعاظمها في مراحل التوثب وسائل الانتقال من حالة الفوضى الى حالة التناسق والتآلف ٠٠٠

ويدعي فورييه ان مرحلة « عدن » كانت تمارس في المناسبات بعد ان اكتشفتها الغرائز ، الا انه يهاجم بصراحة المذاهب النظرية الاجتماعية الحالمة التي تؤمن ان السعادة القديمة قد فقدت الى الابد فالسعادة البدائية سيعمقها الانتاج المتكامل في مرحلة الانسجام ٠

سبقت مرحلة الحياة الانسانية الاولى الصناعة ٠ لذا

يقترح فورييه تمثيل المرحلة الثانية من وجود العالم قياسا على شكل فيل لان اعمال القنص والقطاف قد جمعت بين رجال المجتمعات البدائية الذين انحصر نشاطهم في الحصول على المؤن الغذائية ، وحدة تستند على اساس واحد « الاكل الفاخر او ترف الفم » حالهم كحال الفيل الذي ينحصر ترفه في فمه حيث تنبت الانياب والخرطوم وسائل دفاعه · الفيل هو افقر الحيوانات لان السلسلة الفوضوية لم تكن تملك اية مهنة صناعية ·

يتميز المجتمع البدائي بالصداقة والوفاء والحياء والامتنان وكل فضائل الفيل وهي فضائل لا تثمر في مجتمعنا · وقياسا على ذلك لا بد ان ينقرض الفيل ويتوقف عن التناسل بمجرد بلوغه مجتمعنا ·

وتتعرف المراحل الباقية وهي العائلية والهمجية والحضارية الى الصناعة المجزأة الكريهة الكاذبة وهي على التوالي صغيرة ومتوسطة وكبيرة · تلك الصناعة التي لا تصبح منسقة وجذابة وصادقة الا ببلوغ الانسانية مرحلة الضمان · (Security) الا ان تطور النشاط الانتاجي يصطدم « بتناقضات المرحلة الحضارية » المتميزة بتخلفها والتي يصفها فورييه بالركود ·

يكون «التاريخ في المرحلة الخامسة كسولا وأليما فالمجتمع يسير ببطء يرافق التأوه كل خطوة من خطواته ويفسر بطء السير في مرحلة الحضارة بدنوها من بلوغ مستقبلها القريب مرحلة الوضع بعد ان

حققت تمام صفاتها وكمالها : فكل مرحلة اجتماعية تعاني من ازمة التغيير عندما تبلغ الذروة في صفاتها الخاصة ٠ يمكننا اذن بفضل التقدم الصناعي الجبار تجاوز المرحلة السادسة والسابعة من مراتب المجتمع والارتفاع فورا الى المرحلة السعيدة وهي المرحلة الثامنة ٠

لقد حقق الانسان احد الشرطين الاساسيين المتوجبين لانتقاله الى المرحلة الثامنة ألا وهي الصناعة الكبرى اي : الزراعة والفبارك والعلوم والفنون التي تشكل العناصر الاساسية في ميكانيكية التناسق ، ولكن توفر هذا الشرط وحده لا يكفي فالصناعة في المجتمعات الحضارية لا يمكنها ايجاد السعادة وخلقها وان تمكنت من ايجاد وتوفير عناصر السعادة الاساسية فكل تزايد في الثروات في المرحلة الحضارية لا يؤدي الا الى مضاعفة الترف وزيادة البذخ والاسراف لدى الاغنياء دون تحسين اوضاع الفقراء ٠

ويعتبر عصرنا ضحية تناقض قائم بين مستوى الانتاج الحديث والبنى الاجتماعية القديمة وهذا ما يفسر لنا « كيف ان الغالبية البشرية وهي الطبقة الفقيرة تعجز عن الاستفادة من ازدياد الغنى بل تجني منه مزيدا من الحرمان » ٠

وان بدت قارتنا متخلفة في القضايا السياسية فهي ، على العكس من ذلك ، عظيمة الشأن في الامور المادية حيث تسير بخطوات جبارة كما تدلنا على ذلك بعض الاكتشافات الحديثة كالآلات البخارية والسكك الحديدية ، لذا يتوجب

علينا مهاجمة الاعجاب الساذج والابله بالكمال الحضاري كما نعادي ونرفض الالية والتصنيع ···· ويتطلب التقدم التقني ، الذي يساعدنا على تحقيق النتائج بأقل جهد ، يتطلب منا اعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية · فيبلوغنا قمة المدنية نكون اشبه بدودة القز التي تحتاج الى تغيير طبيعتها والتحول الى شرنقة عندما تمتلىء بالمواد ·

٢ ـ الاهواء الجذرية الاثنا عشر

يجب توفر شرطين اساسيين لبلوغ مرحلة التناسق والتآلف هما : الترف ونظرية النظام المركب ·

اذا كانت الصناعة المتطورة توفر امكانية الرخاء الشامل للجميع فان اكتشاف « قانون التناسق الاشتراكي » ضروري لخلق الميكانيكية الاشتراكية التي يتطلبها العالم الصناعي الجديد ليكون قادرا على مقاومة التجزئة ·

ويدعي فورييه انه اربك وحده عشرين قرنا من البله السياسي باكتشافه هذا القانون السماوي : نظام الاهواء وتحديد علاقاته بالتاريخ · فالمراحل التاريخية لا تتميز فقط بأنظمتها الاقتصادية وحدها بل تتصف ايضا بخصائص عاداتها العاطفية··· فاذا كان صحيحا ان العواطف والاهواء هي نفسها في كافة الازمنة الا ان هذا لا يمنع كونها تستمد من المجتمعات التي تنبت فيها الخصائص التي تميز انطلاقها واندفاعها ··· « فالاهواء تختلف باختلال المراحل الاجتماعية ·· »

فلعبة الاهواء الطبيعية تتضافر وتاريخ العمل الاجتماعي بحيث تحفظ الجاذبية السماوية والعاطفية على نفسها رغم التشويه الحاصل في مراحل القمع : « فالاهواء تمر في كل مرحلة من مراحل المجتمع بنفس التطورات وان اتخذت اشكالا مختلفة » « والامر الواجب تقويمه وتصحيحه هو الميكانيكية الاجتماعية للاهواء لا الافراد المنعزلون » ٠

يتوجب علينا ان نضيف الى الاهواء الجذرية الاثني عشر تلك العاطفة الناتجة عن عملها مجتمعة منسقة ، لان « حب الوحدة » هو الهدف المشترك بين جميع الاهواء الباقية فهو جذعها ، وهو كسائر المحاور في تصنيفات فورييه ، لا يعد ابدا ٠

والتآلف او الاتحاد هو ميل الفرد الى التوفيق بين سعادته وسعادة كل ما يحيط به ، بين سعادته وسعادة الجنس البشري، هذه السعادة المستهجنة اليوم ٠ فالتآلف هو تجرد غير محدود ورفق شامل لا يمكن له التطور الا باثراء الجنس البشري بكامله عند تحرره وبلوغه الحق والعدالة وفقا للاهواء ، ما تحت المركزية ، الثلاثة وهي الترف والتكتلات والفئات ٠

وتتطلب الرغبة في الترف ، الاثراء لاشباع الحواس الخمس : الذوق والنظر والسمع والشم واللمس ٠ وتحتاج الرغبة في التجمع والتكتل لانطلاقها الى الحرية المطلقة : « فالجماعة » هي حسب مفهوم الاهواء وتفسيرها « وحدة تجمعت لتشابه اذواقها في ممارسة مهنة معينة » ٠

هنالك اربع مجموعات تقابل الاهواء العاطفية الاربعة :

تكتل الفخر والطموح ، تكتل الصداقات وهي الاعظم ٠

تكتل الحب ، تكتل العائلة او (القربى) : وهي الاعظم٠

ونفهم الرغبة في التصنيف حين نعلم ان السلطة العاطفية هي جامعة ، هي انضواء عدة طوائف صغيرة او مجموعات تمارس كل منها نوعا من الهوى في ظل فئة واحدة ٠

ويتعلق انطلاق الرغبة التسلسلية ويناط بعدالة التوزيع التي توفرها الاهواء المحركة الثلاثة وهي الخفيّة والمركبة والطائشة « الفراشية » ٠

الهوى الخفي : هو هوى منشق دساس متآمر ، هو الفكر المتحيز ، هو الاندفاع الفطري ، هو ما يعرف بحب المغامرة المشتعل لدى المالقين والطموحين والتجار وعالم الظرف ٠٠ ويخلط الفكر الخفي دائما بين الهوى والحسابات ، فهو يحسب كل حركة او طرفة عين ٠٠ يقوم باعماله بكل خفة بعد تفكير وتأمل فحماسته اذن هي نوع من الاندفاع المدروس ٠

الهوى المركب : هو هوى متطابق متجانس انه نوع من الحماس الاعمى ، وهو يتناقض تماما مع العاطفة السابقة ٠٠ فالهوى المركب متحمس لا يعرف التعقل ، انه تمرين للحواس والفكر ، حالة من النشوة والعمى المعنوي ، نوع من السعادة الناشئة عن تجمع لذتين احداهما حسية والثانية

فكرية روحية ·· نطاق الهوى المركب الاساسي هو الحب وهو يؤثر على بقية العواطف ولكن بشكل محدود ···

الهوى الطائش والفراشة: وهي عاطفة متناقضة متعاقبة، انها التعبير عن الحاجة الى التنوع المرحلي، هي مواقف متباينة، هي تبديل في المواقف ، حوادث لاذعة ، هي تجديدات قادرة على خلق الاوهام واثارة الحواس والروح ·

ويعتبر فورييه ان العواطف والاهواء غير محددة العدد· الثلاث الاولى وهي الرغبة في الترف ، والرغبة في التكتل ، والرغبة في التسلسل يصبح عددها اثني عشر في المــــدى الثاني ثم تتفــرع اثنتين وثلاثين شعبة ثم تتــوزع الى مئــة وثلاثة واربعين فرعا في درجتها الرابعة ·

وتجعل حوافز المجتمع ومحركات التاريخ هذه ، من الانسان ، لعبتهــا دون ان تحوله الى عامــل سلبي تماما · فالعواطف تدفع الناس بصورة طبيعية الى التصرف المنطقي العقلاني ·· ولكن الناس يقعون في المجتمع المتحضر ضحية لأمور تحد من انطلاقهم ··· ويدل الجــــدول الذي يطبـــق سبع مراحل على الهيمنة المتعاقبة لكل من الاهواء العاطفية السبعة (اي الاهواء العاطفية الاربعة والاهواء التوزيعيــة الثلاثة) يدل على ان المرحلة الخامسة تواجه وتتطابق مع الهوى الخفي الذي تحرف تطوره عصور الخداع والمذابح والاضطهاد و « التقلبات المبالغة » و « الامراض المنبثقة » والانانية العامة وازدواجية التصرفات ·· ولا يقضي المجتمع الحضاري على الاهواء المعدة «لمرحلة الانسجام» ، بل يردعها ويقهرها فتنقلب

الى عكسها وتتخذ شكل قوى متعددة ومتناقضة ٠٠ فالجاذبية لا تتغير والواجب يختلف باختلاف الازمنة والامكنة حسب اهواء او نزعات المشرع ٠٠ عام ١٧٩٤ كان من واجب الابن الافشاء عن والده المعادي لليعقوبية وارساله الى المقصلة ٠٠

٣ ـ عمل الحضارة

يعتقد فورييه بلزومية كافة المراحل التاريخية الا اننا ننتظر عبثا ونقبع منذ آلاف السنين في مراحل معينة لا نتجاوزها ، فقد كان بامكان الاثينيين انشاء النظام الاشتراكي لو لم يحل مجتمعهم مجتمع العبودية دون تطور الصناعة ، ولو توصل فلاسفتهم الى اكتشاف « نظام الانسجام والتآلف » وبعد أن عجز الاثينيون عن ايجاد المخرج تطورت المدنية وفق منحنيين شكلا وكونا مرحلتين تفصل بينهما ذروة ٠٠

وتشكل العصور اليونانية والرومانية طفولة المرحلة الخامسة التي تتميز بصورة اساسية باعتبار نظام الزواج الواحد والاقطاع العائلي ٠٠٠ اما المرحلة الثانية من المدنية وهي مرحلة مراهقتها فانها تتوافق وتتناسب وانتقال اليونان الكلاسيكي الى مرحلة العصور الوسطى ، اي الى نظام الامتيازات الاقطاعية وتطور العلوم والفنون وبداية تحرير العبيد ٠٠

وقد بلغت أوجها عندما حلت الكيمياء مكان الخيمياء (او علم تحويل المعادن) وحين ساهمت الانطلاقة البحرية في قيام

الاكتشافات الكبيرة ... ولكن هذا التقدم العلمـي والتطور التقني قد عجلا في انحطاط المرحلـة الخامسة وساهما في ادخالها في المنحنى التنازلي وتراجعها الى المرحلة الثالثـة وسقوطها فيها ..

لقد تطور الفكر المركانتيلي والمالي مع نجاح الرأسمالية التجارية .. وقد تمكنت انكلترا بفضل الامتيازات البحرية التي احتكرتها لنفسها من الاستيلاء على مستعمرات ومناطـق تزودها بالمواد الاولية ، ولكن بدلا من ان تتقـدم هذه الغزوات بالتاريخ رأيناها ترجعه الى الوراء : « فاذا كانت الصناعة قد احرزت وحققت بعض التقدم في اوروبا الا انها فقدت مناطق كبيرة في آسيا حين حكمت بالافلاس والخـراب على بعض الحرفيين الملونين العاجزين عن منافسة الانتاج الصناعـي للبلد المستعمر » .

ويحدد فورييه وجوده في فترة الانتقال الى المرحلـة الرابعة من المدنية ، فترة الوهن ، الفترة التي حل فيها الاقطاع الصناعي مكان الاقطـاع التجـاري اي في فترة سيطرة الامتيازات الخاصة التي تتجه الى غزو واجتياح القطاعات الاقتصادية والتجارية والصناعية ..

ويعتبر فورييه المدنية مرحلة متقدمة من الهمجية رغـم احتقار دعاة التمدن للهمج واستخفافهم بهم فالنظام الحضاري المتمدن هو نظام يقوم على العنف المقنع المموه بحجة الواجـب الذي يتحرر منه الكبار والنافذون بعد ان عجزت الدساتيـر الجمهورية عن تبديل الامور، سواء في المستعمرات او البلدان

المستعمرة والمسيطرة · واذا ادعت بعض الشعوب المتحضرة تحرير العبيد الهمج فلا يمكن لهؤلاء العبيد او يسعهم الا اللجوء الى بيع انفسهم في اليوم الثاني ليتخلصوا من هاجس التفتيش عن العمل والغذاء· ويلي «التحرر او الانعتاق الشخصي» الذي يمين المنحنى التصاعدي في المرحلة الخامسة ، الاستعبـــاد الصناعي في المرحلتين الثالثة والرابعة ·· فالدساتير الممنوحة لا تعيد للامم المستعبدة والشعوب المستغلة « حقوقها الطبيعية» التي حرمتها اياها الحضارة· ويعدد فورييه اربعة حقوق يصفها « بالصناعة الاساسية او القطبية » وهي : القطاف والمرعـــى والصيد والقنص وثلاثة يصفها بالتوزيعية (وهي صفة نفهمها اذا رجعنا الى الاهواء التي تتناسب معها قياسا) وهي: الاتحاد الداخلي (الخفية) واللامبالاة (الطائشة ، الفراشة) والطيران الخارجي (المركبة) ··

ويضيف الى هذه الحقوق : الحق في الحرية والحق في الغذاء الذي يعوض دعاة التمدن عن فقدان السبع الاولى ·· وطالما انه لم يصر الى الاعـتراف بهذا الحـق فلن يكون هنالك عقد اجتماعي متبادل الاعتراف به ·· ولن يكون هنـالك الا جماعة ضغط او جماعة من الاقلية المالكة المتعارضة مع مصالح الاكثرية التي تفتقر الى اللوازم او الامور الضرورية والتي تتجه لهذا السبب الى استعادة الحق الخامس بتكوين جماعات او عصابات داخلية لسلب المالكين ··

تكمن غلطة ثورة ١٧٨٩ الكبرى الرهيبة في اغفالهـــا الاعتراف بحق العمل وهو حق الفقراء النفيس الوحيد ·· فحق العمل يحل مكان الحقوق الصناعية التي تحرمهم منها المدنيـة

ويعوضهم عنها · بانتظار تحول حق العمل من حق معترف به الى حق واقعي فعلي ، فان تطور الصناعة الكبرى يشـــكل تراجعا لا اصلاحا او تحسينا ·

لا نجد ضمن حقوقنا الطبيعية السبعة او الثلاثة، حقوقا تتجه الى ضمان العمل المنتج الذي تحرمنا منه المدنية او تمنحنا اياه ضمن شروط مضحكة (··· كالعمل التابع الخاضع الذي تعود ثماره الى رب العمل لا الى الاجير · فالعامل في المجتمع الحضاري لا يعمل لنفسه ولا يستهلك الزيادة في انتاجه او نسبة من هذه الزيادة) ··· فالصناعي الاناني الصناعـــي الخبيث هو الذي يحصل على ربح العمل المنتج · ويمكن تشبيه الصناعي بزهرة البلسمنية التي تفلت ثمارها من يدنا حـين نعتقد اننا نمسك بها بعناية وتنفلت بذورها منا بمجرد محاولتنا التقاطهـا ··

ونجد هذه التناقضات في الانتاج في احاديث الاخلاقيين ، فبعضهم يتهم العمال بالكسل والبعض الآخـر يرد الامر الى البطالة · ويعطي فورييه مثلا خطيبين في نفس الحزب يكتبان المقالات لصحيفتين تختلف وجهات نظرهما حول هذه القضيـة أولهما يؤنب الانسانية لانها لا تجد سعادتها في العمل وثانيهما يعترف بعجز الانسانية عن بلوغ سعادتها في العمل رغـــم محاولاتها المتعددة ·· فكلاهما عاجز عن تفسير مشكلة العمل الرباعية في العالم الحضاري :

١ ـ مدنية متطورة عاجزة عن ضمان العمل للشعب ·

٢ ـ رفض المتوحش او رجل الطبيعة العمل الممنوح ·

٣ ـ تفاخر الفلاسفة المناقض للواقع حول مصـــير ارباب العمـل ٠

٤ ـ تحديد النظام الصناعي باثارة متطلبات العاطلين عن العمل واشباع رغباتهم ٠

الطريقة التي توصل بها هؤلاء الذين يتمتعون بامتيازات خاصة الى الحصول على مراكزهم، تشجعهم على الاخذ بمبدأ « ضمان القليل » فهم يعلمون ان حاسة الذوق وحاجة البقاء هما بوصلة الشعوب ، فالشعب والجنود يتمردون ويقلبون الحكم اذا قلت المواد الغذائية وندرت ٠

ويعتبر فورييه المجتمع الحضاري مجتمعا يضم المحكومين بالاشغال الشاقة الذين يجيد بعضهم فيه كيفية التخلص من العمل والتحالف للمحافظة على حالة البطالة والابقاء عليها ٠ ومتى توصلت هذه القلة الى الاضطلاع بهذا الدور بعد اجرائها بعض الانقلابات والتحولات فانها تستغل الاكثرية وتستعبدها للمحافظة على بطالتها او دورها في ادارة الماهرين والحـذق وهو وضع يتساوى مع البطالة ويتعادل معها ٠

لم تقض ثورة ١٧٨٩، ككل الانتفاضات الاجتماعية، على التناقضات التي يعاني منها العمال رغم ارتقائها النظري بهم الى مرتبة المواطنين كذلك الدساتير الجمهورية لم تحســـن اوضاع العمال ولم تلغ الاجراءات القسـرية التي تميز العمل في المجتمع الحضاري وتفسر اسباب شقاء الفقراء ٠٠ فالفقير المرهق بالضرائب تزداد آلامه لدى مشاهدته بؤس اقربائــه ،

يستاء لنجاح هؤلاء الذين رفعهم المكر والحظ ، يتعذب للاضطهاد الذي تجره الممارسة اللااخلاقية ويعجز عن اللجوء الى استعمال الاعتراضات القضائية المخصصة للاغنياء ، لا يطال الا اعداء وهميين ويشعر على خلاف الحيوانات بالنفور والاشمئزاز المرضي من نشاطاته ، تحرقه الرغبات التي تثيرها فيه اعماله ونشاطاته في اعماقه تلك الرغبات التي يعجز عن اشباعها فينطوي على نفسه يجتر ذكريات تعاسته، تعذبه مسبقا تصوراته لعجزه المبكر . ويتوجب على الفقير ليس فقط مواجهة تغييرات العمل العائدة الى التطورات التقنية ، بل القبول بصعوبات يجهلها الاغنياء. تلك الصعوبات المتولدة عن الامراض المهنية التي تلقيه في المستشفيات الحزينة برفقة المنازعين ... ومثله زوجته وابنته محكوم عليهما بالبغاء ، وأخيرا نجد ان ثمار عمله تعود الى رب العمل الذي لا يساهم قط بأي نشاط .

تضاف هذه الشروط العامة للحياة العمالية الى الاجراءات التعسفية التي ترتكز عليها الصناعة الكريهة التي تتميز « بالاستعباد الفعلي للاجراء » في الامم الاكثر تمسكا بالجمهورية .. فحكومات هذه الدول هي اكبر مهذار بالحرية. و « التبعية الاستعبادية » او « عمل الاجراء » يدفع الاجراء الى القيام بأقل نشاط ممكن في اليوم المدفوع وغالبا ما تقصي الاتحادات الاحتكارية (وهي تضم جماعة المحتكرين المتمتعين بامتيازات خاصة) تقصي الاكفاء عن العمل .. وتذكر السجون المخففة او المصانع الكبيرة المغلقة بتأنيبها العمال واساءتها للاطفال وهدمها الصحة العامة بسبب الافراط في العمل الرتيب الممل غير المتنوع ، تذكر بالاصلاحيات رغم وجود بعض

الحريات الصريحة التي يتمتع بها العمال ·· وتدفع المنافسة الكاذبة العمال والتجار الى ايذاء بعضهم والاضرار ببعضهم البعض بتخفيض الاجور او تخفيض الارباح في الوقت الذي تهدد فيه قضية « التجنيد الاجباري » وهي خدمة اجبارية لمجموعة من العبيد المسلحين تهدف الى ضبط عدد كبير من العبيد العزل ··

ولا يشكل هذا الوصف لاعمال المجتمع الحضاري الا بداية تحليل نظام الانتاج ·· ويبرهن فورييه ان هذا النظام يتجه الى التحول الى الهدم فهو يغذي طبقة من اللامنتجين وأكثر هذه الطبقة ضررا هم التجار ، فالنظام الحضاري بكامله هو نظام تنازع ترعاه حركة وسيطة وتحول دون القضاء عليه ·

٤ ـ اللامنتجون في النظام الحضاري

تعتبر التجارة النشاط الوسيط بين الانتاج والاستهلاك · لذا يكشف فورييه كل المضاربين دون ان ينسى السفسطين المغالطين الذين يهدرون اوقاتهم في مؤامرات غير منتجة · كالاقتصاديين والفلاسفة الذين يضعون جنونهم الجذري في خدمة التجار منذ اصبحوا اسيادا للحضارة ·· فالفلسفة لا تتدخل الا بعد وقوع الاحداث وحصول التطورات السياسية لتفسير وتبرير الوقائع والفضائح بوضع « منهجيات » تهدف الى تخدير الرغبة في الانتقاد ويقلب السفسطائيون الاشياء في نقاشهم بنقلها من « الواقع الى التصورات » فهذر مصففي الكلمات يدافع عن الدساتير الليبرالية التي تنادي بمبادىء

اسمية وشكلية كالحرية والمساواة والاخوة التي تخفي الدوافع الحقيقية وهي : الاكراه والشرطة والمشنقة • فنجد الجندي الذي يملك حرية ترك الجيش لدى الشعوب البربرية، حيث يسود الاستعباد ، مستعبدا ومحكوما في النظـام الحضاري الذي ينادي بحرية الانسان •

تملك المرحلة الخامسة في النظام المادي ثروات عظيمة بفضل الصناعة المتطـورة كذلك تبدو هذه المرحلة غنية على الصعيد الفكري فالمعلومات المتوفرة كافية فرضا للكشف عـن تناقضات « النظام الهدام » ، لكن منطق المجتمع الحضـاري العابث يصرفه عن دوره المنظم فهو يعمل ، كما يدعي بعض الاخلاقيين ، على ارجـاء بعض التعويضات باسم المبادىء المعتبرة قيمة ، ففي المرحلـة الخامسة يستغل بعض الخبثاء منطق المجتمع الحضاري لاجبار ودفع الضعفاء الى الزهـد النهائي ، ويبتغي فورييه اعادة هذا المنطق الى التوبة بمباشرته انتقاد الفوضى الاساسية في النظام الحضاري ، حيث تحول جهود العمال الى ايماءات حمقاء في الوقت الذي لا يشجع فيه اغراق العاطلين عن العمل في الملذات احدا على الانتاج • فهو يعتقد انه لا معنى للنشاط الاقتصادي اذا لم يؤد الى الاستهلاك النافع دون ان يكون نفعيا تماما ومجانيا دون سخف او غرابة •

ويرتكز الاقتصاد في المجتمع الحضاري على نظـام سياسي يكمن خطأه الاساسي في وضعه الحرية حيث تقضـي آثارها على كافة الحريات : فاحتكار وتركيز وسائل المبادلـة والانتاج في ايدي عدد قليل من المضاربين والمستغلين الذيـن يملكون الثروات الضخمة يؤدي الى خلق ازمات اقتصاديـة

مضرة بالجميع « فجذرية العمل هي في الاقتصاد ، وجذرية اللعب هي نوع من انواع الانفاق » · نجد في النظام الحضاري ان الثروات تنفق فور انتاجها بسبب سوء تنظيم المبادلات · وباتخاذه طابع اللعبة الغالية والباهظة الثمن يجرف العمل في المجتمع الحضاري لعبة كلفة الاهواء ، وبصورة خاصة اللعبة اللعبية والتوزيعية : اللعبة الخفية ·

ويكشف انتقاد فورييه للمبادىء المركانتيلية التي تعد « كل ضيعة بتجارة عظيمة وبعظمة تجارية » عن صف الكلمات الرامي الى السيطـــرة على الصحافة وايقاع الخلاف بين العاطلين عن العمل كما حصل بالنسبة «للمساواة» و «الاخوة» اللتين تخلفهما عادات التهريب ·

وبالفعل احتاجـــت الفلسفة اثر ثورة عام ١٧٨٩ الى اعتماد بعض الخرافات لاحلالها مكان المناقشات اللاهوتية التي بددتها فلجأت الى « العمل الذهبي » الى التجارة لتجعل منها موضوع التبجيل الاجتماعي والمناقشات الفلسفية الكلامية ·

صحيح أن الجسم الاجتماعي يخضع منذ زمن بعيد الى طبقة من العمال الطفيليين غير المنتجين اي التجار، ولكن هؤلاء لم يعمدوا الى مراقبة الحكومة الا عام ١٧٨٩ حين شكلوا ما يسميه فورييه بالانكشارية السياسية ، ويضفـي هذا الاسـم على كل تضامن يكتسح السلطة ويسيطر على الحكومة ويحتكر الوظائف الاساسية الهامة ·

وعندما تحاول الدولة ، سجينة قوانينها ، ان تكبح جماح المضاربين يلجأ التجار الى الامر المحتوم الذي لا مفر منه اي

الى « خاصة الارتداد » اي تحميل الجماعة العاملة كل غبن او ضرر يلحق بهم من قبل الحكومة ، فما ان تتهدد التجارة حتى نرى التجار وقد قيدوا الرساميل وزرعوا الريبة وعرقلوا المبادلات ، يعني الكشف عن جرائم التجارة انتقاد جذرانية الاقتصاديين الذين يدعون الصلاحية في النظام المركنتيلي ٠٠ فهم يدعون ان ترف الاغنياء ينعش المبادلة ويحيي الفقير ولكن الواقع يبرهن لنا ان هذا الادعاء لا يتعدى الكذبة الوقحة فالفقراء يموتون من الجوع بالقرب من القصور ٠٠

والمبدأ القائل بوجوب ايجاد اكثرية فقيرة مقابل قلة من الاغنياء مبدأ غريب وكريه ٠٠٠ فاذا كان صحيحا انه لا مجال لتراكم الرساميل وتطوير الصناعة دون احتجاز مالكي وسائل المبادلة والانتاج لجزء من رواتب العمال ، فان هذا الامر لا يبرر تقنين وتشريع هذه « الضرورة التاريخية » خصوصا عندما تتزين ابنة احد النافذين على حساب ألف مزارع نهبهم والدها او استغلهم واستنزف قواهم كما يحصل في النظام الحضاري، ويعتبر فورييه سفسطة غريبة ادعاء الاقتصاديين القائل : « اذا توصلنا الى دفع الافراد الى مضاعفة استهلاكهم للثياب اربع مرات فان العالم يضاعف ثروته من العمل المصنع بنفس النسبة » ٠

وهكذا نجد كل شيء مقلوبا في عالم التجارة فالاستهلاك الذي يعتبر هدفا بحد ذاته بصورة طبيعية ، ووسيلة بصورة ثانوية يتحول بصورة اساسية الى أداة لتطوير مبدأ الانتاج او بصورة ادق الى الانتاج من اجل الربح ٠

ولا يتمالك فورييه نفسه امام كل هذه الفوضى والانانية فيعدنا قائلا : « سأهاجم الاوهـــام الثلاثة الجديدة وهي : الليبرالية الخاطئة ، والحرية المنحرفة ، والتجارة الكاذبة ·· كما يكشف فورييه بعنف مناورات المضاربين الذين يسببون تقلب اسعار البضائع بصورة اصطناعية للاثراء السريع على حساب افلاس منافسيهم ·· فمثلا سرت في فرنسا خلال صيف ١٨٠٦ اشاعات ادعت حصول تأخير في تسليم المؤن الآتية من المستعمرات ·· وقد اسرع هؤلاء الذين تفرض مصالحهم اعتقاد الآخرين بنقص المواد الاولية من مصانع الغزل أسرعوا بشراء التموينات المتوفرة ·· وقد أجبر ارتفاع اسعار القطـن الناتج عن الاحتكار والاستيلاء اجبر عددا من المصانع على وقف نشاطها ·· بينما لم تنقص في الواقع التموينات فقد طرح كبار التجار القطن الفائض عن حاجات مصانعهم في الاسواق بأسعار مرتفعة (بعد ان سربوا معلوماتهم الخطيرة) ··

ويعدد فورييه الآثار الاساسية لهذه المضاربة المدسوسة:

١ ـ مضاعفة اسعار بضاعة لم تفقد فعليا ·

٢ ـ افلاس المؤسسات العاجزة عن تحمل هذا الارتفاع الكبير في الاسعار ·

٣ ـ تعرض عمال هذه المصانع الى البطالة ·

٤ ـ اثراء تحالف السماسرة المتلاعبين على حساب الصناعة الانتاجية ·

ويتولد عن الفوضى التجارية نظام الاقطاع التجـاري عن طريق تأجير التجارة لشركات متضامنة تتمتع بامتيازات

خاصة وهذا ما يسمى « بالتفتيش الصناعي » او استعباد كافة المواطنين ورهنهم بمغامرات ودسائس الاحتكار المنظم ٠

حتى ولو بدا ان تركيز الرساميل يؤدي نوعا ما الى الحد من المنافسة الفوضوية فمن الواضح ان هاتين الوسيلتين (التركيز والمنافسة الحرة) جائرتان ومتعسفتان بحق الجماهير ٠ فالاغنياء لن يكونوا اغنياء تماما طالما ان الشعب يعاني من الفقر ، وهم يخضعون في هذه الحالة الى « التبعية الملكية » ومن آثارها الظاهرة الافلاس ٠٠

ويقترح فورييه في هذا المجال انشاء تدرج للتفليسة وهي تستوعب رغم عدم شموليتها ٢٦ نوعا من الافلاس ابتداء من التفليسة الطفولية حتى التفليسة المضحكة ، وان كانت ألاعيب المضاربين والتجار لا تضحك العمال كما انها لا تعتبر لازمة وضرورية لحسن سير الاقتصاد ٠٠ فالتاجر لا ينتج شيئا بمعالجة الارقام والاوهام (الكلام ، الارقام ، الاموال) بينما يوجد الحرفيون والفلاحون الثروة ٠ لذا يميز فورييه بصورة جذرية بين المصالح التجارية والمصالح الصناعية التي يعتبر نفسه عدوها الطبيعي ، وان خضع العمل المنتج بدوره وتعرض الى آفة التصنيع او هوس الانتاج المرتبك غير المنظم بدون اعتماد اعادة التوزيع النسبي بدون اية ضمانة بالنسبة للمنتج او الاجير حول مساهمتهم بزيادة الثروة ٠ لا يحتاج العامل الى تجاوز حجج الاقتصاديين لرؤية عدم جذرية العمل في المجتمع الحضاري ، فهو يلاحظ ان المجتمع يرفع جماعات لا تنتج بنسبة استهلاكها ، فثلاثة ارباع النساء والاطفال هم من الطفيليين المنزليين ، ويفوق عدد طفيليي المجتمع عدد هؤلاء ٠٠

فأكثر من نصف الصناعيين قليلو الانتاج لسوء نوعية البضاعة المصنوعة ، كذلك هو امر « الطفيليين الملحقين » كالعاطلين عن العمل بصورة شرعية او المتحضرين الذين لا يعملون ايـــام الاعياد ٠٠ وهذا الانقطاع في النشاطات الكريهة ضروري كما هي حال « المحطة العرضية » التي تقضي بالتوقف عن العمل فور ابتعاد رب العمل ٠ اضف ان مقاومة «السموم الاجتماعية» وردع الاناس العاصين للصناعة والقوانين والعادات والتقاليد (كالمهربين الذين يعطلون عمل موظفي الجمارك) تفرض اقامة جيش ورعاية موظفين غير منتجين كالادارات المعقدة ٠٠ ويعتبر فورييه ان الجيوش ليست غير نافعة وحسب بل هدامة تقصي الشباب عن ميادين الانتاج وهو يوجب اعادة تربية الشـباب ليستعيد حبه للعمل الذي فقده في المؤسسة العسكرية ٠

وينتمي الاقتصـــاديون الى الطبقـة التي تستفيد من الثروات الجديدة ، لذا لا يمكنهم الكشف عن مساوىء المنافسة الحرة التي تفترض بالضرورة هذا الفيض من العمال الذي أسيء توزيعه والذي يحرم المجتمع من الايدي العاملة النافعة ٠٠ ولا يتردد فورييه في الكتابة « بأن الاقتصاد السياســي والليبرالي ليسا اكثر ليبرالية من ثوب رث ٠ فالواقع يدلنـا ان الرأسماليين احرار بالقاء العمال في البطالة باستبدالهـم بآلات اكثر انتاجية ٠ اضف ان الوفرة في البضـائع المصنعة آليا تؤدي الى انخفاض اثمانها الامر الذي يؤدي بمالكيها الى سحبها من السوق بانتظار ارتفاع اسعارها او اتلافها لرفع اسعارها بصورة مصطنعة » ٠ في نفس الوقت نجد ان التنافس بين طالبي العمل يتيح للمنتجين تخفيض كل من الاجور وسعر الكلفة الذي يوفر لهم امكانية شراء الآليات التقنية المستحدثة

التي تنتج مزيدا من الاموال الجديدة « غير النافعة » . هذه هي حلقة الحضارة المفرغة ، فالوفرة عاجزة عن التشابك والتفاعل مع النمو السكاني الذي تبيحه رغم « ان النمو السكاني هو دليل تطور الدول الا انه يسبب انخفاض الاجور وافقار الفرد والى ما هنالك من الامراض والعلل » . يتميز النظام المتهافت بالترف الكاذب والوهمي .. ويذكر هذا التبذير بعمل من ينفق ثروته لحاجته الى تبديد قواه باللعب ، ينفق وهو يحلم بالعالم الجديد الناشىء عن التصنيع ، ولا بد للاعداد « للاصلاح التجاري » او انهيار الحركة الوسيطة التي تستنزف « المنتج والمستهلك » لا بد من معرفة اصل وأسباب التجزئة الصناعية ..

٥ ـ العائلة في المجتمع الحضاري

يعيد فوربيه اصل التجزئة الاجتماعية الى « المؤسسة العائلية » او « الوحدة الصغيرة » وهي وحدة اصغر وأصلب من ان تشكل وسيطا في العلاقات بين الفرد والمجتمع او ان تستدرك النزاع الناشىء والمتولد عن التقدم التقني . فالعائلات غير المتآلفة او غير المنسجمة ذات الفكر الاسري تعتبر « عائلات بسيطة » عائلات لا تتضامن مع بقية الفروع في سبيل التعاضد (الدعم المتبادل) .

نشأ التقسيم الاجتماعي للعمل عن الانقسام العائلي الزراعي الذي يبدأ بالتمييز بين الجنسين واذا شكل الانتاج واعادة الانتاج قطبين متكاملين في نشاط العائلة في مرحلة عدن بصورة ظاهرة فمع تحول المجتمع لا تعود علاقاتهما

نافعة «الطبيعة الصرفة تجمع الناس ازواجا فياكواخ متوحشة ويهدف هذا النوع من التجمع الى الانجاب لا الى العمل » ٠

تزول العلاقات العائلية تحت تأثير النمو السكاني وندرة المواد الغذائية وظهور التقنيات الناتج عن السببين السابقين لتحل محلها علاقات اكثر تعقيدا ٠٠ واذا اتخذ التوزيع الاجتماعي طابعا عضويا لقيامه واستناده الى نظام المبادلات المتعددة فهذا لا يعني انسجامه وتناسقه ٠ والصناعة المجزأة تهب لفرد واحد فقط كل اسرار المهنة ، وتعمل بواسطة مجموعات صغيرة في العمل في «جلسات طويلة مملة» تحفزها الضغوطات والحاجة أضف ان روابط القرابة غالبا ما تتعارض مع الميول ومن هنا تظهر في المجتمع الحضاري التناقضات في الطباع بين الاب والابن ، الابن يرجو بلهفه « التمتع بالميزات » ، في حين يؤدي موت رب العائلة الى « بلبلة مؤسساته » ٠

ولا نشهد التناقض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في الاطار العائلي فقط ، فانعدام الوحدة في المخططات التنفيذية في الاعمال المتعلقة بقرية بكاملها يدفع عائلات هذه القرية الى تقديم مصالحها الفردية على مصالح الطائفة ٠ « فكلها ترفض القيام بالاعمال ذات المنفعة العامة التي يمكن ان يستفيد منها بعض الجيران الالداء ٠٠ كل فرد يعيث بالغابة فسادا وينهب احتياطياتها من الصيد والقنص الخ٠٠ »

ومبدأ الملكية البسيطة «او المزارع التي تستثمرها العائلات غير المتآلفة» هو حق التعدي التعسفي على المصالح الجماعية لاشباع الاهواء الفردية ويبرر انطواء العائلة على نفسها :

« الحاجة الى تأمين نفقات المنزل والاولاد هذه الحاجة التـي أوجدت اخلاقية الظروف » ٠

ولا يدفع الزواج الى الفضيلة بل يتميز بصورة اساسية « بالانحلالات الاخلاقية » التي يؤدي اليها ، فهو نوع من انواع البغاء المنظم ٠٠ ففي الوقت الذي يكتفي فيه العازبون بامرأة واحدة يبيع الازواج البورجوازيون احدهم نفسه للآخر بعفة عن طريق الوساطة المشتركة : وساطة الآباء والمالقين ٠

اما الزوجة الفقيرة فان ثمار عملها المنزلي تغطي بالكاد استهلاكها القليل ، وهي غالبا ما تكون مجبرة على تأجـير قوتها كزوجها البروليتاري لاحد الرأسماليين وقد تضطر الى بيع جسدها الى احدهم لتعيل اسرتها وتفي بحاجاتها ٠ « وكما يعني النفي المتكرر في القواعـد اللغـوية الايجاب كذلك في التجارة الزوجية تساوي الدعارتان العفة » ٠ وحتى عندما لا تؤدي الحاجة الى المال الى انحلال الزوجين وفساد اخلاقهما تبقى العلاقات بين الزوجين مصدرا للاذلال بما تثـيره لدى الجنسين من رغبة في التخطيط خفية لايجاد الوسائل والسبل لخيانة الجنس الآخر ٠٠ ويقدم فورييه في هذا المجال وصفـا دقيقا ومنظما حول الانواع الرئيسية للازواج المخدوعين بدءا من الزوج المخدوع قبل الاوان حتى المخدوع بعد الوفاة ليدلل على الفشل الشامل للحياة العائلية في الانظمة غير المتآلفـة وغير المنسجمة ٠ واكثر ما يثير سخرية فورييه هو تشجيـع كافة الطبقات لبعضها البعض على الزواج في المجتمعـات الحضارية رغم انها تعتبره فخا منصوبا ٠ ويمتدح الاخلاقيون « الزواج اللذيذ » ويدفعون الشعب اليه ليحصلوا على وفرة

من الشباب والعمال العاملين بأسعار ضئيلة ، وفرة تستنزف في سبيل اغناء قلة من الافراد • ويدفع الاخلاقيون الشعب الى الزواج لانهم يعرفون ان العزوبية تولد اللامبالاة وان المرء لا يهتم الا لرؤية اطفال يعتصرهم الجوع ويستند السياسيون الى المبادىء الدينية ويتذرعون بها بحجة ما يسمونه «الحاجات الاقتصادية » يحظرون استعمال الوسائل المانعة للحمل ثم يدافعون عن القانون حين يجرم فتاة صغيرة حملت دون اذن من البلدية « خارج الزواج » • ويعتبر الرأسماليون بقاء الشعب كوسيلة للانتاج ضرورة « فموت الفقراء يجبر الاغنياء على ممارسة الاعمال الكريهة » • ولا يقبل النظام العائلي الذي يفرضه الاخلاقيون على العمال لا يقبل من انواع الحب الا ما هو ضروري « لتجديد النوع » • هذان هما مبدأ الحضارة المتكاملان المتناقضان : « يمثل الزواج على المدى القصير ما تمثله الصناعة على المدى البعيد » فالصناعة تهتم بانتاج وتصنيع المواد الغذائية والزواج تقتضي مهمته انتاج وتربية العمال الحاذقين •• وتنفع المؤسسة العائلية الذين يبغون نقل عادات السيطرة والاستعباد •• فالتربية الاسرية تتيح تكوين شكل المجتمع في نفس الوقت الذي تنشىء فيه الافراد الذين يكونون هذا المجتمع •

ويعتقد المسيطرون على مقدرات الامور ان مصالحهم تقتضي محو « الذكرى الاسطورية » للعمل والنشاط السابقين للمؤسسة العائلية من الذاكرة الانسانية خوفا من ان تشجع هذه الذكرى الافراد على البحث عن مجتمع اكثر حرية ، وبالفعل فقد اهتم النافذون ورجال الدين منذ العهود الاولى للمؤسسة العائلية بمحو ذكرى السعادة الضائعة بعد ان استاء

الشعب وأخذ يعمل بقرف لاستحالة تطبيق « الطريقة الجذابة » بسبب الغزارة السكانيةوندرة المواد الغذائية وبداية الصناعة · وعندما يذكر النشاط اللعبي لاطفال المجتمعات المتحضـــــرة بامكانية اعادة خلق مجتمع عدن تعود للآباء مهمة اضعــاف ذكرى السعادة الماضية والقضاء عليها بنشر الاساطير حول العهود البدائية « للابقاء على التبعية القائمة » · وهكذا في المرحلة الخامسة في الوقت الذي يقمع فيه النافذون اهــــواء الشعب بواسطة الجنود والمشانق تنحصر مهمة الرجال في نقل حب الاضطهاد هذا والابقاء عليه · فالجنس القوي يقهر الجنسين الضعيفين : النساء والاطفال ·· حتى لا يشــــعر الفقراء ويعرفون ان الفقر ناتـــج عن المجتمع الحضاري وان الوفرة سببه الأساسي، كي لا يثوروا يعمد المتمتعون بامتيازات خاصة الى استخدام واستغلال اقوال الاخلاقيين لدفع هــؤلاء الذين يسيطرون عليهم على التمادي في الحرمان · ورغــم ان محظورات الفلاسفة وموانعها متضامنة، الا انها تنص وتشتمل على بعض الفعالية لانها تتوجه الى هؤلاء الذين يعيقهم البؤس ويجبرهم على نقل اوهامهم وآرائهم غير المدعومة الى ابنائهم · ويشبه فورييه الانظمة القمعية بخيوط العنكبوت التي لا تصطاد الا الذبابات الصغيرة ولهذا السبب يجري مقارنة بالقياس بين الاخلاق وثمرة التوت · فبانتقال هذه الثمرة الصغيرة مـــن اللون الاحمر الى اللون الاسود ، من لون الترف الى لــــون الحزن والحرمان يصور لنا تطور العالم الاخلاقي ابن الترف الذي ينسى اصوله فيحمل ألوان الفقر ويحرضنا على الحرمان ·· ويزهر العليق وينضج متأخرا، تماما كامل الاخلاقية، ثمرة الحضارة المتقدمة التي بلغت اوجها ·· ويتمثل دور هذه الملل

الاخلاقية بدفعات تضع العوائق في كل الجهات وتوقف صغار اللصوص لاكبارهم · وهكذا تضم الاخلاق الابناء لا آباءهم · يقول فورييه : في القرن الثامن عشر اخضعوا مبادىء « الاخلاقيين القمعية » الى السياسة المركانتيلية ومنذ ذلك الحين ظهر وجه الاخلاق الحقيقي وأصبح النظام الذي يقوم بدور الخصي العاجز في النظام السياسي · ويكره فورييه اليهود لا لتطبيقهم الختانة او لحبهم التجارة بل لان مكرهم يجعلهم من اكثر الامم خضوعاً للسلطة الابوية ·· الابناء هم الذين يأخذون بالمعايير الاخلاقية لا الآباء فالحقيقة هي ان علم الاخلاق يستخدم الآباء لنقل عادات الزهد ونكران الذات الى النساء والاطفال · فالمرأة الشابة باقترانها بعجوز تقع ضحية « الثأر العاطفي » ثأر الرجل فهو يجبرها على التقيد بالعفة دون ان يمكنها من بلوغ المعرفة عن « طريق اللذة » كما هي الحال لو انها لم تحرم من اية لذة · فدور زوجها ينحصر بالقيام بدور ابيها والحلول مكان التربية في المجتمع الحضاري تلك التربية التي تقتضي خنق ارادة النساء قبل بلوغهن وتحريفها اثناء فترة المراهقة بردعهن عن الحب ··

ويرافق الحرب بين الجنسين بصورة ضرورية الضغط والكبت الاجتماعي الذي يحتاج الى التربية القمعية للحكم على شباب المرحلة الخامسة بالتخلي عن الملذات التي يقتضي ويتوجب على الصناعة الحديثة تأمينها « فالحضارة التي يعتبرونها بحق حرب الغني ضد الفقير هي ايضا حرب العجوز ضد الشاب » ·

٦ ـ التربيـة في المجتمعـات الحضـارية

تقوم التربية في المجتمعات الحضارية على الواجـب والاكراه لذا فهي لا تقدم الا بعض الهمجيين الصغار الذين ما ان يخضعوا للتجنيد في ظل الاخلاق حتى ينتظموا في افواج، افواج كبار الهمجيين الذينينهبون ويعتدون ويحرقون ويذبحون من اجل توازن العقائد والمبادىء التجارية ، واكتمالية الاوهام الما ورائية ·· فمنذ السنوات الاولى تعيق هذه التربية الاجساد بتمارينها والارواح بأوهامها ، فكما تتلف الضغوطات والكبت الصحة الجسدية تنال الاثـــارة الفوضوية لتقسيم العمل من وحدة الفكر ··

واذا برهن بعض الفلاسفة كديكارت « ان العلوم سلسلة تتصل كل حركة منها بالمجموعة وتوصل الواحدة الى الاخرى، فهذه الوحدة النظرية لا تمنع واقع التجزئـة الصناعية التي تفصل بين الروح والجسد · وتجهل التربية في المجتمعـات الحديثة كيفية اعداد الطفل للعمل ، فهي تتركه لفترة طويلة في فراغ هائل » و « تقدم النظرية على التطبيق » فهي تحد مـن نشاط الطفل : الدرس والمعاناة امام قواعد اللغة « تحبسـه طوال اليوم بين المكتب ومدعي المعرفــة » الذين يحاولون ان يرسخوا في ذهنه معلومات لا تثير في نفسه اية رغبة· فالتربية الحديثة التي تعتبر تحضيرا سيئا للعمل المستقبلي الكريـه ، جديرة بهذا المجتمع الذي ارتكـب خطأ حبس الآبـــاء في المكاتب ··

تعتبر التربية التي يتلقاها مدعو الحضارة امتيازا في

الظاهر، ففوربيه يشكك بامكانية هذه التربية على تشجيع انطلاق الاهواء فهي على العكس من ذلك تعد لخنقها « فالطفل المنتمي الى الطبقات الغنية يتلقى في شبابه عدة انواع من السبل التربوية تتراكم » وتعطيه « عددا مشابها من الدوافع المتناقضة » وهكذا نجد ان اعداد الاطفال لاعتماد المبادىء الاخلاقية في تصرفاتهم يعني الحكم عليهم بالوقوع في حبائل المحتالين ، ولكن اعتماد الطريقة المقابلة التي تقتضي المناورة والتلاعب تفسد الميل الى العفة وهو ميل طبيعي لدى الاطفال ٠

١ ـ السبيل التربوي الاول : هو ذلك الذي يعطيه الاساتذة ويوصون فيه باحتقار الثروات الخداعة ٠

٢ ـ السبيل التربوي الثاني هو الجشع وغير الاجتماعي، هو ذلك الذي يلقنه الآباء سرا لابنائهم حين يعلمونهم ان المال هو عصب الحرب ، ويوضحون لهم ان واجبهم الاول هو التفكير بالربح ٠٠ هؤلاء الآباء انفسهم ينجرون الى اساءة معاملة ابنائهم حين يوجدون لهم مواهب خيالية « غير واقعية » ففي الوقت الذي يدفعون فيه الابن البكر الى التبذير والتكبر لانهم يريدون ان يجعلوا منه وريثهم ، يدفعون الفتيات الى التقشف وحياة التنسك لانهم يردون حبسهن في احد الاديرة ٠

ويقاوم الاطفال من جهتهم هذا الواقع ويلجأون الى ألعابهم للتخلص من الصراع غير المتعادل الذي وقعوا ضحية له، ولا يلبثون انيكتسبوا روح التمرد التي يعلمهم اياها رفاقهم خفية : يؤلفون العصابات التي تتمرد على مدعي المعرفة والآباء وتتخذ شعارا لها عصيان الاوامر « يعمدون في المساء الى القاء

القاذورات على مطارق الابواب وحبال الاجراس يمسحونها بمأكولاتهم المفضلة ، يحلمون بتلويث الجنس البشري بأسره » ٠

ولكن التربية الاجتماعية تطمس وتمتص كل ما عداها ببلوغهم سن الشباب ٠ ويدفع « الفكر الاجتماعي » الشاب الى السخرية من المبادىء التي تؤثر بالطلاب وتشملهم ، يدفعهم الى التكيف بعادات الطبقات الغنية ، يدفعهم الى السخرية من المبادىء الاخلاقية عندما ينتقلون من المغامرات العاطفية الى الاعمال الطموحة ، ويؤدي بهم اخيرا الى الانغماس في مصاريف جنونية والديون بالربا ناقلين انحلالهم الى كل الفتيات اللواتي يعاشرون ٠٠

بدأت هذه التربية في السابق كردة فعل من الطفل على « اساءة استعمال السلطة الابوية او سوء تطبيقها » هذه السلطة الابوية التي تنهار صورتها بالسرعة التي يكتشف بها المراهق التناقضات بين « ادعاءات الاب الخيالية والاهلية الخيالية التي ترتكز عليها » ويعي الابن مبكرا انه الثمرة الارادية او غير الارادية للعبة الحب التي يريدون « حرمانه منها في شبابه » ٠

وتبين بذور الخلاف هذه بين الآباء والابناء في المجتمعات الحضارية « ان عاطفة الآباء ازاء ابنائهم اذا بلغت ثلاث وحدات فان عاطفة الابناء تجاه آبائهم لا تتجاوز ثلث الوحدة » ٠٠ واذ تكون الجاذبية دافع الاطفال ومحركهم فان الخوف هو الذي يدفع الآباء الى التفكير ٠ وهكذا نجد في المجتمعات المتحضرة ان لا التلقائية العفوية تنفع ولا الحسابات

الدقيقة تعطي ثمارا دائمة « فسيطرة العقل هي السبيل الوحيد المتبقي للعجائز وسيطرة الجاذبية هي العقبة القائمة امـــام الشباب» ٠ كما ان الحياة في المجتمعات الحضارية قائمة على تناقضات تعطيها هذا الوجه البشع لتبدو خيالية كالكـابوس كذلك تنحصر مهمتها في اعداد الطفل على مواجهة الهذر ٠٠٠ لكن وبما انه من الصعب التغلب على هذه الصعاب فالحقيقـة الوحيدة التي تعد لها التربية في المجتمعـــات الحضارية هي عجزها عن الاستفادة من التخلي عن النزوات الطفولية ٠٠ ومن هنا تنشأ ثورة الاطفال العمياء وقمع السلطات المتزايد ، تلك السلطات التي تحتج بالمقاومة المبداة لتزيد من قسوتها ٠٠٠ وتعرفنا هذه الحلقة المفرغة ان الرابطة الاسرية في النظـــام الحضاري تدفع الآباء الى تمني موت ابنائهم وتدفع الابنـــاء بالمقابل الى تمني موت آبائهم ٠٠ لكن هذه الرغبات المنحرفة تنقلب الى عكسها وتتخذ شكل حسن نية المربين الظاهرة الذين يعتقدون انهم « يحسنون الطبيعة الصرفة حين يعاملـــــون الاهواء والعواطف كما يعامل المزارع الاغصان الطفيليـــــة يشذبها كي يزيد من انتاجية الشجرة » رغم ان هذه المقارنـة خاطئة من اساسها ، فاذا كان صحيحا ، ان التعليم يساعـد على « انطلاق وازدهار الصناعة الانسانية والحكمة التجريبية بالعمل الذي يبرره الحصاد الوافر » فمن الصحيح ايضا ان « وسائل القمع » غالبا ما تفشل في الممارسة التربوية « ونتيجة لهذه الجهود الرامية الى تشذيب الاهواء وتهذيبها » لا نجـد لدى ابناء المجتمعات الحضارية اية مواهب متفتحة او متفجرة في سن العشرين « اذا كان الفرد من العامة فغالبا ما يدفعه اهله الى القيام بأعمال بعيدة عن القطرة فيعاني من الخمول،

فكل فرد يصبح ضعيفا عديم الاهمية اذا لم يقم بالدور الذي تعزوه اليه الطبيعة • اما اذا كان الفرد ينتمي الى الطبقة الغنية فهو قد يبلغ الثلاثين دون ان يحقق ذاته • فمن اصل مئة شاب من طلاب معاهد الحقوق والطب لا ينجح اكثر من عشرين » • في العالم الحضاري تنال التربية من الفرد وتحط من قيمته وتجعله اقل قدرا من الحيوان الاعجم فالطبيعة تسلح الحيوان بالغرائز ليتأقلم مع محيطه « فلا يهدم عمله او اعمال الحيوانات التي هي من نوعه •• ويحصل اساتذة المرحلة الخامسة من الطبيعة على ردة الفعل التي تدين مجتمعنا » فالاطفال كالمتوحشين يعطوننا العبر والدروس فيما يخص سياستنا الاجتماعية : فاشمئزازهم من اعمالنا وممارساتنا هو موقف استنكار تعلنه الطبيعة وتعبر هذه الطبيعة عن نفسها في كافة مراحل النمو الفردي ولكن سرعان ما يبادر المربون الى قمعها « ويأتي الحب ليضيف الى كراهية الصناعة حب البذخ والميل الى العلاقات التي يحظرها الآباء » و « هكذا ما ان تقع شابة من اللواتي تلقين تربية حسنة في الحب حتى تفقد الرغبة في العمل » فالحب كغيره من الاهواء ، كل انطلاقة فيه تضر بالعمل « وترتد طاقة الاهواء المجنونة » على كل ما يتعارض والعمل اذا اعيق تطورها الى درجة تجعل من آثارها على الفرد والعلاقات الاجتماعية غير معروفة: هذه هي العاطفة الخفية •

٧ ـ انحـراف دور الاهـواء

تنعكس آثار التقسيم الصناعي على التدريب المهنـــي وتحظر انتعاش الاهواء التي لا تعود تظهر الا بشكل « عواطف وأهواء مرتدة » فكل « عاطفة مختنقة تولد عكسها وهو مضر بمقدار نفع العاطفة الطبيعية » وأكثر ما يبدو خطر هذا «التنافر العاطفي » على صعيد الحب. فللاختناق آثار عددية تعمي دعاة الحضارة عن صفات العواطف الصحيحة ، ترهبهم منها وتبرر مخاوفهم بصورة اصطناعية « فالنظـــام القمعي يخدع نفسه بخداع العالم الاجتماعي» فهو يؤدي الى «انتاج ظل الملذات التي يرغب في حظرها واضفاء مزيد من الجاذبية على الامور التي منعها » . ويعالج الاخلاقيون ، الذين اعمتهم الرذائل التـــي سببوها ، الحب كالتيار الجارف دون ان يعلموا ان سدودهم الفلسفية هي التي جعلته يخرب ويجرف المزيد من الاراضـــي « بتحريم الانطلاقة الشرعية والاستعمال الاجتماعي للحـــب المادي تضاعف تأثيره اربع مرات وقضى على كل اعتـدال وتحولت المشاعر الى عبد خسيس لا يتدخل الا للتزييف » وحكم على المشاعر وان كان بامكانها التحول الى رغبة صادقـة بألا تعبر عن نفسها الا بالقلق والنفاق في لعبة المجتمع المعـادية للمجتمع .

ويتحول الحب الذي لا يملك الا التحريف وسيلة للاشباع الى متآمر أبدي يعمل دون هوادة لدك المجتمع ودوس كافة المفاهيم « ويعيق تحريف الاهواء الخفية هذه العاطفة التوزيعية من « اقامة التنسيق والتآلف العاطفي « فاللعبة الخارجية في المرحلة الخامسة هي سلسلة من التنازع » فالميكانيكية في المجتمع الحضاري هي حرب كل فرد ضد الجماعة ، هي نظام تقتضي فيه مصلحة كل فرد خداع العامة « هي موضع للازدواجية الاجتماعية والنزاع الاساسي بين الطبقات » وللعبة الداخلية للاهواء نفس الصفات والميزات باعتبار ان « الانطلاقة المضادة » عائدة الى نفس الاسباب « لذا يعاني الانسان حالة من الصراع الداخلي ، ومن التناقض بين اهوائه، فالطموح يتعارض مع الحب والابوة تتناقض مع الصداقة وكذلك هي الحال بالنسبة لبقية الاهواء الاثني عشر » · فالطموح يثيره مثلا العجز عن الاشباع في الصناعة فينعكس على السلطة ويطغى عليها ويكشف عن هوى الوحدوية « كصورة سلبية له » فالكل ينبغي اذن ان ينسق اهواء المجموعة ويوازنها معه ، والكل يرتجي الميكانيكية الداخلية التي تنسق اهواءه فيما بينها » ·

فما يتعلمه التلميذ من رفاقه ينفعه اكثر من المعلومات التي يحشو بها الاساتذة ذهنه ، فهو سرعان ما يفهم ان القوة وحدها تصون وتعلي مبادئه اثناء اللعب مع قرائنه الصغار · ولكن الانطلاقة العكسية التي تحولت اليها عواطفه تخفي عنه الامور الاساسية « فيجهل ان هذا الانقسام في العالم بين اناس مخدوعين وأناس ساخرين ليس الا الانقسام الصغير »

اما « الانقســـــام الكبير فيقتضي توزيعهم الى مضطهديـــن وجائرين» وتنعكس العاطفة الخفية التي حرمت من انطلاقتها ، من الصراع المفيد ، تنعكس لتولد صراعات مضرة «فالعاطفة الخفية هي التي تفسر لنـــا اهمية اللعبة الحضارية دون ان تكون السبب الاساسي الذي اضفى عليها هذه السمــــات الهدامة ٠٠ لان الفلسفة والحضارة والصناعة المجزأة هـــي اصل عللنا لا الاهواء » ٠ ويتصف نشاط الهـــوى الخفـــي كالمرحلـــة الخامسة بالغموض والالتباس ٠ واللعبـــة ، وهي مثيرة بحد ذاتها ، هي انعكاس للهوى العاشر وهي مبعـث للحزن ٠ « والحاجة الى التخفي والمغامرة قوية ، ذلك ان اية جماعة تضجر وتمل اذا لم تحصل على ورق او تتسلى باللعب٠ فما الالعاب الا ارتداء للعاطفة الخفية التي يقع بدونها كـــل اجتماع في الهدوء الرتيب والكآبة كأية سفينة حــــرمت من الهواء » وتبحث العاطفة الخفية، للنقص في المغامرات الحقيقية عن المغامرات المصطنعة في القمار والمسرح والروايات ٠ فلو كان القراء يملكون تعاطفا حقيقيا او ودا حقيقيــــا لاهتمـــوا باموالهم الخاصة ولما بحثوا عن المتعة في صورة سعــــادة خيالية ٠ ويبتغي رجال المجتمعات الحضارية الذين يفتقرون الى المباهج الحقيقية « الاثراء في اوهامهم » حتى ولو شكوا ان التسلية التي يتفننون في اختلاقها لا تقضي على حاجاتهم او تشبعها ٠٠٠ ويفسر لنا حب الاوهام هذا سبب تلطيـــخ صور العالم برغبات مرتدة : وهكذا ينتقد فورييه (١٣) فلسفة رجل الغابة « اي قمة الطبيعة حيث يعتقد الفرد بامكانيـــة محافظته التي اتلفتها الحياة الحضارية أي المدنية فخطــــأ الشـــــاعر دوليـــل مثـــلا هـــو انه نظـــــر الى الطبيعـــــة

من على « شرفات قصر » اي الخطأ المزدوج بعدم الاعتراف « بان هذه الطبيعة هي قبل كل شيء نتاج العمل الانساني » والجهل بأن المدن الصناعية هي ملجأ المقامرين : فدوليل يبدأ عند معالجة ملذات الحقول بتعداد العاب المدنية : بليار ، هويست (نوع من العاب الورق) شطرنج وطاولة دون ذكر العمال الذين يشقون ويقومون بجميع الاعمال ليتمكن المتمتعون بامتيازات خاصة من اللعب واللهو » ٠

ويرى فورييه في تناسي الشاعر للعمال دليلا على رغبة القراء الذين يكتب لهم في الهرب بخيالهم الى مدينة احبكت فيها حبكة « العلاقات الاجتماعية » وهذا الوصف جزئي بقدر ما هو رمزي ، فهو يخفي شروط انتاجه (أي مجتمع يحتاج الى شاعر مثل دوليل) ويخفي شروط الانتاج عامة (فمن ذا الذي سيهتم بتزويد هؤلاء الفلاحين السعداء بما يحتاجونه من مؤن) ٠ وتتوفر هذه الصورة في الاسقاط العمودي لان التناقضات الافقية اكثر جلاء من ان تسمح بعمل الخيال بحرية على الارض ٠٠ فلذة التمتع بالجمال هي وسيلة مصطنعة للهرب من الام الاستعباد ولكن الرجل الحضاري الذي لا يملك الاستفادة من السلوى التي يمنحها الفن لمن يتمتعون بامتيازات خاصة ، يعمد الى البحث في السماء عما ينقصه على الارض فهو يتبجح ويتباهى ببعض الحريات الروحية لحرمانه من الحريات السياسية والمادية ، لكن التأملات الفارغة لا تحسن مصير الانسان بل تشكل على العكس من ذلك عوامل قهر واستعباد ٠ ولا يمكن للمتحضرين الا الشعور المتناقض بالضغينة والحقد تجاه خالقهم حين يتوجهون اليه

لانهم يرون فوقهم اسيادا متكبرين نزقين يبحثون عن تملــق الاخرين في كل عمل يقومون به فيعتقدون ان اللـــه متعطش مثل اسيادهم الى الاطراء الكاذب ·· ان تصلي الى الله هو ان تعاتبه على جرم لا يمكن سؤال الجاذبية عنه « وهـــذا سخف غير مسموح به الا للمرضى » اي الرجال الذين يعانون من التناقض والتنافر بين الامور المادية والشؤون الروحية ، الرجال الذين انشقت حياتهم الى مبدأين يحاول احدهمـا ان يقضي على الاخر ··· ويجعل « ضياع المنطق من عالمنـــا مجتمعا معكوسا » فهو يؤدي بنا دائما ، اما الى ذروة الكمال او الى اعماق الانحطاط الواقعي ···

خلاصة (١)

دائرة الحضـــارة المفرغة

في المرحلةالخامسة تتزايد الاوهام بالقدر الذييسوء معه الواقع كذلك العلاقات الاجتماعية تتناقض وتتراجع بالقـــدر الذي يبعد فيه التطور التقني الانسان عن الحيـــوان · واذا كانت الحضارة تطور وتحسن الصناعة الا انها تفسد الاخلاق بسببالتقدم الصناعي· ويتعرض جزءا الانسانيةاللذان يعتديان على بعضهما البعض لمصير مختلف فالفقراء يقعون ضحيـــة « للشقاء المركب » يعانون منذ البداية من النكبة المزدوجـــة : الفقر والحرمان من العمل بالاضافة الى احتقارهم والافتـــراء عليهم ·· ويحصل الاغنياء الذين يتمتعون بامتيازات خاصـــة على عروض عمل لا تسمح لهم بقبولهـــا لا مواهبهـــم ولا

اوقاتهم ، فمن يملك المال تمنح به كل الاموال ومن يعاني من صروف الدهر تحل به كافة المصائب ·

وتملك المجتمعات الحضارية صفة التنافر اي انها بدلا من التعاون فيما بينها والمساهمة في نهضة الانسانية تتصل ببعضها البعض دون ان تبدي اية رغبة بالاقتداء بغيرها ·· تقضي على بعضها البعض كأثر وحيد للعلاقات التي تقيمها فيما بينها ويحمل كل شيء في هذا العالم الحديث الطابع الذي يسميه فوربيه « بالدائرة المفرغة » هذا هو السبب الذي يوجب علينا تبديد الاوهام حول السمو واقامة الدليل على ان التقدم في المراتب الاجتماعية هو برهان على التقهقر · « نلاحظ عند تحليل الحضارة بصورة موضوعية ان كافة العناصر التي يفرزها التحليل تتناقض فيما بينها، والاختراعات البشرية التي لم يتمكن المجتمع الصناعي من تطوير طابعها الانتاجي هي التي باشرت هذا التدمير المتبادل للاجزاء » ·

ويصبح التدهور في المرحلة الخامسة تلقائيا ومصطنعا معا فكلما ابتعدنا عن الطبيعة كلما تعطشنا اليها وكلما جزأناها امعنا في تشويهها « فدراسة الطبيعة تعني الرغبة في مناقضتها وابادتها » ·

يوجد لدى الطفل الذي اضرت به التربية الخاطئة « مجموعة من الغرائز التي نجهلها ، غرائز تدفع الطفل لعجزها عن الانطلاق الى الخبث والمكر والعنف وتسيء الى نموه · والنساء والعبيد الذين يبني عليهم حكماء هذا العصر

اوهامهم المتعلقة بالطبيعة هم كالاطفال ، نتـاج هذه الاخطـاء التي يبررونها بالمقابل « وهكذا يشبه الفلاسفة الذين يـودون اقصاء جنس عن وظيفة معينة ، مستعمري جزر الانتيلا الذين يدعون ان الزنوج هم اقل مرتبة من النوع الانساني بعـــد ان يرهقونهم بالعذاب، هم الذين خبلتهم التربية البربرية ٠ فرأي الفلاسفة بالنساء جـــاء كرأي المستعمرين بالزنوج ٠ ليس بوسع احد الحكم على قدرات العمل الكامنة لدى هؤلاء الذين تحول المعاملة السيئة دون الكشف عن امكانياتهم : الحكـــم على النساء تبعا للتفاهة التي تبدينها في المجتمعات الحضارية هي كالحكم على الانسان من خلال صفات الفلاح الروسي الذي لا يملك اي مفهوم للحرية او الكرامة ، كالحكم على القنـدس من خلال البله الذي يظهر عليه بعد تدجينه ٠٠ فالقمع يفقـد العبد الشعور بالعبودية والرغبة في التحرر ويؤدي به الى حب سيده الذي ينسى حينئذ اصل استعباده للاخرين ويعزوه الى طبيعة هؤلاء الذين اصبحوا ملكا له ٠ وتكره النساء ككـــل الطبقـــات المســتعبدة بعضـــهن البعض ويحترمن الجنـس المضطهد ويحتقرن كل رجل يتحيز لهن ويشفق على استعبادهن٠ والتصـــرف الذي ينســبه مدعو الحضـــارة ويفرضونـــه على النساء ، شبيه بالمسلك الذي تتبناه الانسانية في المرحلة الخامسة من المستبدين بها ٠ فهؤلاء المستبدون يتطلبون مـن الشعوب وفاء الكلب الذي يخدم ويحب من آذاه رغم الاساءة التي يلقاها في المعاملة ويدفع هذا الامر فورييه الى اطـلاق صرخة نداء الى دعاة التحضر « احقر ما في الاستعباد هـــو الرضوخ الاعمى الـــــذي يقنع الجـــائر ان ضحيته خلقت للاضطهاد والاستعباد » ٠

الفصل الثاني

التربية لدى دعاة الانسجام والتناسق

١ ـ مبادىء التربية ٠

٢ ـ الحوافز الروحية للتربية ٠

٣ ـ التربية التفاضلية ٠

٤ ـ المطبخ والاوبرا والموسيقى

٥ ـ العشائر الصغيرة ٠

١ ـ مبادىء التربية

تشكل التربية في المجتمعات الحضارية العامل الاساسي في الدائرة المفرغة التي ينحبس فيها رجال المرحلة الخامسة وتهدف الى افساد الاهواء التي توحي بعدم الرضى حتى لا يكون اي اعتراض تهديدا فعليا للنظام غير المتماسك الذي يحافظ ويحمل عناصر نفيه والقضاء على نفسه ٠٠ ما ينفي الحضارة غامض لان النظام الخاطىء يستخدم ويستغل ما هو « لا انساني للبقاء والاستمرار » ويعمل في نفس الوقت على كل من يعمل على مكافحته : يمكن اذن لسلبية المرحلة الخامسة ان تبدو كالايجاد المطلق الذي « يعلن عن النظام المتناسق المركب » ويبشر به ٠ فاخطاؤنا مفتعلة وغير طبيعية وهي عبارة عن اختلاجات الفضيلة التي شوهها النظام الحضاري ، النظام المتعارض وارادة الجاذبية والمقنع بالعقبات التي وضعها منذ البداية امام انطلاقة العواطف والاهواء ٠

يلاحظ فورييه « ان الطفل المتحضر يميل بوضوح الى الحقيقة فهو لا يكذب الا لتخطي العراقيل التي يعيقون بها اهواءه » ٠ واذا كان تأخر التاريخ يحط بالطبيعة الى « الحيل السيئة » الا ان اللعبة المتبادلة بين الطبيعة والتاريخ لم تنته بعد ففورييه يستقرىء بعض الدلائل التي تبشر بعهود افضل حتى بالنسبة للميزات الحضارية الاكثر اثارة للاشمئزاز : « كذلك هي الحال بالنسبة للطفل المشاغب » ٠

فالطفل الكامل الذي يبدي نشاطا انتاجيا كبيرا في « النظام المتناسق » هو نفس الطفل الذي يعتبره المجتمع الحضاري مليئا بالعيوب والعلل ويعتبره مشاجرا ، غريب الاطوار ، متمردا ، وقحا ، فضوليا جموحا ٠٠٠ والمرحلة الخامسة حافلة بالتناقض بين مستوى الانتاج الممكن والبنى الاجتماعية القديمة ٠ فمدعو الحضارة يعيشون طبقا للحياة في مجتمعات الندرة بينما تتيح التحولات الاجتماعية التي تتطلبها الصناعة الكبرى لتطورها جعل الوفرة أمرا حقيقيا واقعا ٠ يعمل نظام « التناسق » لانه نظام تملك فيه « الفئات العاطفية» قدرة تكوين علاقات اقتصادية واجتماعية٠٠٠ يدخل الاطفال منذ طفولتهم في لعبة المجموعات والفئات المحبوكة ، يجذبهم الى العمل السحر الذي توفره اللعبة بفضل توزيع المهمات توزيعا معقدا قدر ما هو مرن : ويجهد الاطفال لاستحقاق عمل سريع في « الجيوش الصناعية » التي تشن فيما بينها « حروبا » هادئة وتنظم حملات صليبية « تهدف الى تحقيق اعمال كبيرة تثير اهتمام « كتائب متعددة » ففي المرحلة الثامنة تتحد الكرة الارضية في امبراطوريات ومناطق وامارات ومقاطعات كتائبية وفئات ومجموعات ٠٠ ويهدف المربون في عالم الانسجام والتناسق الى تحقيق هدف مماثل لهدف فورييه اي « رفع الانسانية الى « الثروة المركبة » اي « الرفاهية والصحة » او « سبل الترف الداخلي » او بكلمة اخرى تطوير المعطيات الانية باللعبة المركبة ٠

١ ـ الاهواء الاثنا عشر

٢ ـ مراتب الاخلاق

٣ ـ الآلهيات

٤ ـ الامور المنفرة

٥ ـ الغرائز

٦ ـ الاذواق

٧ ـ الخلافات ـ التنافر

٨ ـ التناقضات

٩ ـ التعاطف والود

١٠ ـ النفور والكراهية

١١ ـ المنافسة

١٢ ـ نقائص الطبيعة

او على الاقل الامور التي يعجز دعاة الحضارة الواقعون ضحية اوهامهم تسميتها بشكل مختلف كالميل الى الوساخة مثلا دون ان ننسى « التفاوت المدرج » ولا (الانانيات الفردية والجماعية) • ومتى ادرجت هذه الدوافع في اماكنها عملت ميكانيكية التناسق في سبيل اللذة التي توفرها لها النفقة السعيدة المنظمة لاموالها ، وهذا النشاط يعطي ويمنح ، بلا توقف ، مزيدا من الطاقة والثروات •• فلا بد من تهذيب مشاعر

كل فرد في هذا العالم الذي تنتعش فيه اهواء الوحدة ليتمكن من تقدير نوعية ثمار الخلق الاجتماعي « لذا يتوجب على الشعب مدعي التناسق والانسجام ان يهذب مشاعره لتحقيق هدفي : تحقيق سعادة الشعب والارتقاء بالاغنياء في مناصب العمل ، وأن يجاري الطبقة الغنية في تهذيبها للجمع بين جاذبية الاشخاص وجاذبية الوظائف في المزارع والمصانع »

وتتناول التربية بالتساوي امور الروح والجسد التي يميز بينهما دعاة الحضارة. فمهمة التربية ان تجعل من دعاة التوازن عمالا عاملين . وتعتمد التربية الصناعية التي تبدأ بعد تدرج الطفل على المشي على خمسة حوافز :

١ ـ ورش صغيرة وحلقات اختبارية .

٢ ـ المطابخ .

٣ ـ الاوبرا .

٤ ـ الحدائق .

٥ ـ الاسطبلات والطيور الداجنة .

وتتنوع التربية باختلاف الاعمار فنحن « نتطلب من كل قدر استطاعته » . وكما يتميز كل مجتمع بصناعة خاصة كذلك تتطلب مراحل الطفولة المختلفة تربية خاصة .. ولا يحدد فورييه بصورة نهائية تفاصيل التربية في « مجتمع التناسق » بل يتركها للتجربة التي تقرر وحدها قيمة الاختبار .. والمبدأ المحوري في نظرية فورييه التربوية هو اعطاء

الافضلية التسلسليةللمادة على الروح الامر الذي يعتبـــره الشرط الاساسي في تكوين الروح والجسد · وتلي مرحلـــة الفتوة ، مرحلة الطفولة التي تمتد الى ثلاث سنوات وتنقســم مرحلة الفتوة هذه الى منحنيين : المنحنى الاسفل وينقســم الى مرحلتين مرحلة الطفولة الاولى ومرحلةالطفولة المتوسطة ·· وتتلقى مجموعة الاطفال البالغين من العمر (٣ ــ ٥) سنوات التربية الاولـــى او السابقة التـــي تهتم بصورة اساسيـة بالخصائص الجسدية ، وينال الملائكة في مرحلة الطفولـــة المتوسطة (تضم اطفالا من الخامسة حتى التاسعة) تربيـــة موجهة الى ملكاتهم الصناعية ··· ويضــم المنحنـــى الاعلى مرحلتين ايضـــا « الطفولة المتقدمة » والطفولة المختطلـــة المكرستـــين لتفتـــح الخصـــــائص الروحيـــــة ·· فيتلقى ثانويو ورياضيو الطفولة المتقدمة (الذيـــــن تتراوح اعمارهم بين التاسعة والخامسة عشرة) تربية لاحقة تولـــي اهتمامها الاساسي للامور الروحية ويكمل « الفتيان » فـــي مرحلة الطفولة المختلطة تطورهم الفكري حتى نهاية المرحلـــة الخلفية التي تتم في حوالي العشرين ··· ولا تنحصر التربية في فترة النمو ففي مرحلة التوازن كما هي الحال مع البعض في مرحلة الحضارة يقبل الشخص على الدراسة كلما وجـــد في ذلك لذة او اوجبت عليه ذلك مصلحة ·

ولا يستثني هذا التوزيع التربوي التطبيـــق العملي في فترة تهذيب الخصائص الروحية ولا يقصي الدراسات النظرية قبل سن التاسعة « فلا بد علينا من تقدير التأثير الذي يتركـــه

على البيئة وعلى تطور الجسم الانساني تطور الخصائص الروحية بالتنسيق مع تمرين الصفات الجسدية عن طريق الرياضة المتوازنة » .. ويعلم فورييه ان المستقبل لا يهم الانسان بصورة جذرية الا بالمقدار الذي يشبع له حواسه ويعرف ايضا ان الاطفال « يحتاجون الى التمرن على الحاضر» لذا على البالغين ان يتصرفوا بشكل يمكنوا معه الملذات الحسية من تكوين الرغبة في صنع المستقبل وتصوره . والاولوية الزمنية المعطاة للتمارين الجسدية هي شرط في تفوق الفكر الذي يأتي فيما بعد ليحتل المرتبة الاولى « فالتربية الاشتراكية تعتبر جسد الطفل تابعا للروح السيد العظيم الذي يصل الى القصر بعد ان يمهد ممثله الظريف، فتبدأ بتعويد الجسد منذ الطفولة على القيام بكافة الخدمات المتناسبة مع روح مدعي التناسق أي الانضباط والحقيقة والتنظيم والوحدة الموزونة » . ويقدم الاطفال في مجتمع التوازن على تعلم المهن الحرفية . فصرح المعرفة هو بناء عابث لمن يجهل العمليات التي يتكون منها ويرتكز عليها او من يجهل وسائل تطبيقه في الحياة التقنية والمهنية : فرابطة العلوم لا تكفي وحدها كحافز للدراسة ، لا بد من ان نزيد ونضيف عليها الرابط الوظيفي والفردي وحب المنافسة .

وكما في الحب كذلك في العمل يوصل الحس الى الانفعالات النفسية « لذا لن يصار الى تعداد الحوافز الروحية التي تفتح المواهب قبل عرض الدوافع المادية في الكتيبة » . « والكتيبة هي التجمع الذي يتولى زراعة مقاطعة » ويبلغ عدد اعضائها حوالي الف وثمانمائة شخص تقريبا تعيش في مركز مشترك ويطلق عليه اسم «مشترك» ويضم المركز الريفي

الكتيبي قاعات وغرفا مخصصة لاعمال الفئات المتقدمة ويعتبر فورييه اناقة المشاغل الصغيرة المخصصة لكل فئة احد اهم عوامل تطوير الاذواق المسيطرة لدى الاطفال عامة : أي المصغرات الصناعية والميل الى المشاغل الصغيرة » ولطريقة توزيع العمال الصغار اهمية تضاهي جمالَ آماكن العمل ومن هنا تبرز اهمية التناسق المادي الذي يقتضي التعاون مع مجموعةالعسكريين وموقعي الرقص · فحين يلبس الاطفال الزينة الفخرية ، يؤخذون بفخ الملابس وسحر الادوات الصغيرة ذات المقاييس المتناسبة مع مختلف الاعمار ·· » ويعتبر الصغار في المجتمع المتوازن استعمال هذه الادوات ميزة لهم مع انها حق لهم في الواقع ، الامر الذي يشجعهم على التسكع والتنقيب اي الميل الى لمس الاشياء وزيارتها والاطلاع عليها وتبديل الوظائف دون توقف ولا تنحبس التربية في المرحلة الخامسة في حيز معين كما انها لا تتحدد بوقت ويشجع احصاء وحصر كل التقنيات ، الاطفال على اختبار الجزء الذي يودون التمرن عليه كما يعطيهم حرية الاختيار · ويجعل هذا الحصر للتقنيات ضروريا قصر الجلسات ، لذلك نجد ان الاطفال في المجتمعات المتوازنة لا يرغبون قط في الراحة بل يودون الانتقال من عمل الى آخر ·· ويتيح لهم النظام الاشتراكي تحقيق رغبتهم هذه حتى لا يخنق فيهم العاطفة الطائشة او الفراشة ·

٢ ـ الحوافز الروحية للتربية

يمكن للطفل في مجتمعات التناسق والتوازن ان يختار ، في كل من فروع الصناعة ، التفاصيل التي يريد

التفرغ لها وتحديد مدة عمله • وعادة التقليد يكتسبها الطفل ويطورها على الصعيد الانساني اذا حثتها ونشطتها انتصارات جماعات الاطفال الاكبر سنا • فعن التدريب الجماعي او سحر اتباع الرفاق وميل الاطفال الى تقليد تحركات الكبار تتأتى وتنتج المزاحمة والمنافسة بين الفئة والمجموعة وبين المجموعات المنتمية الى نفس الفئة وعن النزاع التنافسي مع ابناء الكتائب المجاورة • وهذا ما يسمى « بالتعاون التربوي » اي تربية الاطفال لبعضهم البعض باستعمال سحر « التعاون التصاعدي » •

ففي مجتمعات التناسق لا تربي الام بالضرورة طفلها بل تعهده في مرحلة الطفولة الاولى الى مربيات يستهويهن القيام بدور الامهات المشتركات ، مربيات يتناوبن على العمل • تعاونهن في وظيفتهن بعض المساعدات الصغيرات اللواتي تتراوح اعمارهن بين السابعة والتاسعة ••

فعند توفر هذه الشروط « غياب الاطراء الابوي المرفوض في النظام الاشتراكي حيث يحكم على الطفل ويوجه من قبل اقرانه لا من قبل والده يتعلم الابناء الاباء الحقيقي الزهو والغرور ، فالاقران لا يدعون الاعجاب الكاذب بأعمال زملائهم • ويعتبر فورييه فخر الطفل لصنعه عملا صغيرا يظنه ذا اهمية كبيرة دافعا قويا للطفل وضروريا كسخرية الرفاق من الارعن الاحمق• والطفل الذي يرسل ليبكي قرب المراقبين المعنيين بتوجيه الاطفال واسمهم « الطيبون » يأخذ دروسا تؤهله للتقدم الى الامتحانات •• « تسند الى الطفل

اعمال صغيرة هينة ، فيندمج بسرعة في عشرات المجموعات حيث يتم اعداده بسرعة وتربيته بوسيلة الجاذبية الخالصة· فالعلم الافضل والامتن هو العلم الناتج عن رغبة او مصلحة مستعجلة وتعجب هذه الدراسة لاضفاء الطـــابع الهملـــي عليها » · يعفى الطفل في مجتمعات التوازن من اطاعة رئيس يفرض عليه لذا فهو يشعر بحريته ويرتاح لتبعيتـــه المثمرة لاساتذته ·· فالجاذبية اقوى من الترويض او الشرط لذا نجد الطفل يطلب المعرفة لتطوير العمل الذي يحقق فيه سعادته ·· ويعطينا فورييه مثل صديقين اوريال ونيزوس عجزا عن ربط كلب بعربة صغيرة فلجآ الى « الطبيب » يتعلمـــان منه كيف يصبحان جديرين بالانتماء الى مجموعة الاطفــال ··· قــد يدعي بعض دعاة التحضر ان الخدمات الصغيرة التي يتعلــم فيها الصغار يمكن ان تتم بصورة اقتصادية اكثر لو قام بهــا البالغون ولكن نلقي ما نفقده ظاهريا في اعمال الاطفال على المدى الطويل ، اذ اننا نكرس ربحا انيا للحصول على لـــذة فورييه (لذة الاطفال الذين يلعبون) وربحا يتضاعف مع مرور السنين وامتدادها « يشكل اهمال زرع الجاذبية الصناعيــة وسيلة تفتيق المواهب ، سياسة خاطئــة وادخارا غبيا ، فمن المعلوم انه لا مجال للتكوين الفكري الصحيح قبل ان تؤتـــي تربيةالحواس والغرائز والصناعة ثمارها ·

بعد سنوات يتوجب على الصديقين تعلم القراءة فيما يلي الطريقة التي يدفعان بها الى تحقيق غايتهما : « يجب ان تحتل الدراسة المرتبة الثانية ، وان تنشأ عن فضول وتنبه الوظائف

المادية ·· لا بد من ان يرتبط النشاط المدرسي بأعمال المشاغل والمزارع ، تثيره الانطباعات النامية في المشاغل يهوى نيزوس مثلا الطاووس والقرنفل وهـــو ينتمي بحسب نشاطـــه الى المجموعـــة » التي تهتم بالطاووس والقرنفـل ·· يتوجب ان نتجنب عند ادخال نيزوس الى المدرسة ذكر الارادة الابوية ، او التهويل بالسوط او الوعد بالمكافأة ·

يجب دفعه ورفاقه الى المطالبة بحق التعلم · (لا بد من اللجوء الى الحيلة بالتوجه الى حواس الاطفـــال موجهيهم الطبيعيين ، لذا يأتي المسؤول عن مجموعة الاطفال بكتاب كبير يضم مجموعة) من صور الطاووس المتوفر في المنطقة وغير المتوفر فيها ولما تسحر هذه الصور الاطفال البالغين من العمر خمس سنوات وتسرق البابهم ، نقـــرأ لهم بعض التفسيرات الصغيرة الموجودة تحت الصور ننمي فيهم الرغبة في سماع المزيد دون ان يعير المسؤول اسئلتهم اي اهتمام بحجة انه لا يملك الوقت · وهذا الامتناع هو السر المتفق عليه في مجامع الصغار فالكل يتفق على اجابة الطفل بانه لا يملك الوقـــت لتفسير طلباته مع الاشارة الى انه بامكان الصغير معرفتهـــا بنفسه لو اجـــاد القراءة كغيره من قرائنه الذين يرتـــادون المكتبة · فيشعر نيزوس الذي عاني من الحرمان بالرغبة في تعلم القراءة ليتمكن من ولوج المكتبة ورؤية الكتب الكبيرة التي تضم صورا جميلة ، فيطلع رفيقه اوريل على رغبته هذه ويؤلف الاثنان مؤامرة نبيلة تهدف الى تعلم القراءة · ويجدان عونا من اساتذتهما عندما تستيقظ رغبتهما ويعلنان عنها · « الدولـــة الاشتراكية تريد دفعهما الى طلب المعرفة ، وتقدمهما سيتضاعف

ثلاث مرات عندما تكون الدراسة عمـــلا يجذبهم ومعرفـــة يطلبونها ·

استغل هنا حب الاطفال للصور الملونـــة التي تمثـــل مواضيع يهتم بها الطفل لعلاقتها بنشاطه اليومي وتبعيتها له · ويبدو هذا الباعث كافيا لبعث فكرة الرغبة في التعلم · لنحلل البادرة المركبة ونميز بين بواعثها المادية وحوافزها الروحية :

ـ ١ ـ العجلة في معرفة تفسيرات وشروحات الصور الجميلة ·

ـ ٢ ـ علاقة الصور بالحيوانات والنباتات التي يولونها اهمية خاصة ·

ـ ٣ ـ الرغبة في الترفع من فئة الى اخرى (تشترط اتقان القراءة) ·

ـ ٤ ـ سخرية المتقدمين الذين يهزأون من الجاهلين ·

تقع العلاقات بين الاطفال وزملائهم واساتذتهم فـــي مجتمعات التناسق في منطقة وسط بن اللعبـــة المسرحيـــة ورزانة العواطف · فالاهواء لا تنطلق ما لم تجد دورهـــا في سيناريو محبوك · لا بد من خداع الطفل لجذبه الى بذل نشاط تجد قدراته فيه مجالا للتمرس اي الصراع ضـــد خطـــر الاخفاق ، وهو خطر كبير الى درجة يكفي معها لاعطاء اهمية للرهان وضئيل الى درجة لا يستطيع معها ان يبث اليأس في

المبادرات والمحاولات . والواقع الذي يتوجب على الطفل في مجتمعات التوازن الاهتمام به ليس غريبا عن رغباته الايجابية، فهو ناتج عن اللعبة الشاملة لعبة الاهواء والعقل . فليس هناك من حاجة الى ابعاد الفضول واقصائه عن موضوعه الاول لان هذه المواضيع منظمة في العالم بطريقة معينة كي يؤدي كل واحد منها الى معرفة صلتها بالاخرين .

والاشخاص والاشياء تدفع الفكر الى اقامة علاقات عقلانية بين الظواهر ، وهذه العلاقات حقيقية لان الروابط العاطفية صحيحة . فعواطف القراء الصغار تتجمع حول من هم اكبر منهم لترتد وتنعكس على العقل . ومعرفة الاستاذ ليست ملكا خاصا به يجعل من واجبه نقله الى الاخرين فهو يندفع بصمت في الانتاج ليشكل علماء صغار في الوقت الذي يعتقد فيه هؤلاء الصغار انهم يشبعون فضولهم الخاص يقتربون من المعرفة الشاملة بتطوير حبهم للهو مع الفئات المجردة بترتيب التعريفات وحل التقسيمات والتجميعات التي نتكلم ونفكر ونطلع على الحقيقة من خلالها .

٣ ـ التربية التفاضلية

يسمح التنسيق بين المعرفة الجذرية وألعاب الخيال للشباب باكتشاف نظام العلوم عن طريق التحليل والقياس الشامل والمبادرات المحلية الخاصة . ويكثر استعمال هذه الاخيرة في العروض التربوية ، « كالاستثناءات » التي يمكن لها اثارة الاهتمام . هذا هو الرضوخ Roquement المستعمل

في الملاحم والدراما فنحن نثبت الخيال على واقعة بينة تجمع حولها حوادث مختلفة ٠ واذا كان صحيحا انه يجب في المنهجية كما في لعبة الشطرنج التمسك بالعلاقات القائمة الى درجـــة كبيرة واحترام التعاريف والتعابير فهـــذا لا يمنع دعـــوة الاستثناءات « كالفوضى المحلية » الى اعــادة بناء التصنيفات واضفاء الاهمية على النشاط التنظيمي ٠٠ وكذلك في المسرح تعتبر الاعمال الظاهرة اعمالا اصطناعية تهدف الى مساعدة المتفرج على متابعة دور الممثلين والاشتراك في اللعبة : الحبكة تبتغي اثارة الفضول والسحر من اجل اللذة المؤثرة الاولى ٠ ونعرف السبب الذي يدعو فورييه الى اقامة علاقة قياسية بين الاهواء التوزيعية الثلاث واللمســـات الثلاث الاخيــرة من التسلسل البسيط في الوسائل التعليمية ٠

وينتعش الهوى العاشر بالبحث عن علامات (سواء كانت خفية ام لا) تشجع تصنيف الرجال والاشياء في مراتب وأنظمة وتحتاج العاطفة الطائشة الفراشة الى الوسيلة المتقطعة التي تقتضي البدء بدراسة موضوع معين « بمطالعة سريعة ثـــم العودة المجزأة الى بعض المقاطع في النظرية ثم بالانتقال الى الدراسة المتعمقة ثم الى اجراء مقابلات بين المعاهدات المختلفة والابتكارات والمناقشات والانتقادات٠ فمن المفيد الانتقال حسب رغبة كل طالب من الامور الهامة الى السهلة ومن الامـــور الطريفة الى الرزينة ٠ وأخيرا تتطلب العاطفة المركبة ان تستغل في تعليم الاولاد الموارية والعاب الورق والاوز بان تعتمد لكل مرحلة او جزء حدثا او موضوعا معينا ٠ يطلع الاطفال مدعو التوازن من خلال الاستثناءات على نظــام التآلــف ، وذلـــك

بتطبيقهم علم التصنيفات كذلك اساتذة المرحلـــة الثامنـــة يستغلون روح الاكتشاف والرغبة في الاختبار لاكتشـــاف الخصائص الفردية · ويساعد المرشـــدون بتكريسهم لتفتيـــح المزايا والميول الصناعية وتصنيف الاهواء في اقامة الطالع المنظم « : علما ان هذا الطالع لا يملك اية صفة غيبية بل يخدم في تحديد العلاقات بين الامور المادية الامور الروحية والامور العاطفية لدى الافراد · ويحاول الكشاف والكشافات الكشف عن العادات الفردية وهي » مصغرات عن الاهواء تنتج عـــن حاجة الفكر الانساني الى خلق الحوافز · يخدم الطالع فـــي اكتشـــاف العـــادات الفرديـــة ، وتساعد هذه العـــادات بالمقابل « اعمال البحوث » الدقيقة « والاختبارات التحليلية » وكلما ندرت العادات واقترب عددها من العدم كلمـــا تناسب بصورة افضل مع حسابات الطالع وكلما تطورت خصائصها الموحدة · ويمكن حتى « للاذواق الغريبة » التي لا تتواجد الا لدى قلة ضئيلة ان تجمع بين بعض « الغافين » في مجموعات وفئات تدربهم على العمل وتدفعهم اليه · وتنفذ الاجتماعات المعقودة وفق هذه الطريقة الاعمال التي تتطلب الطاقة والحذق ومهمة هذه الوظائف الرئيسية هو الربط بين مختلف الفئات ، فهي مجموعة تحولات ونتائج مختلطة وغامضة تعمل علـــى الربط بين الفئات والمجموعات وهي تحـــول دون اختـــلاط الميكانيكية الاشتراكية باللعبة التي تتم بمنأى عنها بين اجزائها وتتيح عملية ملء كل فراغ بعنصر ، اللعبة التي تتيح لكافـــة الاجزاء ان تجد مكانها · اذن يجب اعتبـــار الانتعاشـــات الصغيرة عند دراسة الحركة حيث تتعادل اهميـــة الدوافـــع الكبيرة والصغيرة على السواء فالطبيعة تريد تشكيل الاخلاط

اي انها تود اقامة نظام تسهل فه حركة المبادلات بفضل مبدأ الاستمرارية التي تطبقها « ميزات الارتباط » · ويذكر فورييه مثلا طفلة متمدنة في التاسعة تأكل الثوم بشراهة ليؤكد ان احدا في نظام التالف لن يهزأ منها او يتنبأ لها بالعزوبية بسبب رائحة فمها الكريهة : على العكس هذه الهواية في تشكيل ارتباط مزدوج :

ـ ١ ـ جمع الجنسين في فئة واحدة « فمن المفيد ان تكون **النساء الثمن في الاهواء المميزة للرجال وأن يكون الرجال الثمن في الاهواء المرتبطة بالنساء لاقامة نوع من التنافس بينهما · وهكذا يتيح نظام التآلف لهذه الآنسة التقرب من الرجال « بذوقها الخاص » واقامة وسيلة تقارب جديدة بين الاجناس وهي مناسبة لتطوير مناورات جديدة ·**

ـ ٢ ـ الجمع بين اعمال مختلفة لدى الفرد الواحد ٪ : يكفي جمع الطفلة في الحديقة مع محبي الثوم وان كانت لا تحب القواعد تدريبها على الاشعار الغنائية التي تمتدح الثوم كي تهتم بآلية الخلق الشعري وتطلب المعرفة ·

٤ ـ المطبخ والاوبرا والموسيقى

يرى فورييه بوجوب ارتباط العمل الفكري حول المزيج والنقائض بوظائف التحول العضوي التي تنسقها · لذا تنظم الاعمال والعاب ومناسبات التصنيف والمسابقات في نظام التآلف لتشيع انتاج افضل الاغذية التي يعود في نهايتها الى الحكم تحديد الرابحين والخاسرين بمنحهم الاوسمة ·

وتؤدي هذه التصنيفات الى ثانية مختلفة « فالفاشلون يودون معرفة سبب فشلهم الذي قد يعزى الى اختلاف طبيعة ونوعية الاراضي » اذن يشكل هذا الفشل الموقت فخا او دافعا يدفعهم الى دخول المدارس وطلب بعض الكتب المتخصصة بدراسة هذا النوع من الحديد او بتعداد اصناف الاراضي ٠ ويعتبر الطبخ البوصلة الثانية في نظام الصناعة العائد الى التآلـــف اما البوصلة الاولى فهي الدعوى المنظمة : الفئة الموزعة الـــى مجموعات حسب نوعها وجنسهـــا او ما يعـرف بالبوصلة الصناعية والاشتراكية ٠

ومن ضمن النشاطات الخلاقة علم الطبخ او الجمع بين الحكمة والعلوم المفيدة كالنظافة والزراعة مع أدوات الشره المهذب علم الطبخ الـــذي يسبق التقنية التوزيعية الفئويـــة « فالطبخ هو اكثر الفنون احترامـــا في نظام التآلف ، فهـــو العمل الزراعي وصالون التربية الاساسي » ٠٠٠ كما فـــي المرحلة الاولى من الانسانية كذلك في السنوات الاولى مـــن عمره يحصر الفرد كل نشاطه بفمه ٠ والعواطف هي الحوافز الاساسية التي تدفع الفرد في نظام التآلف الى الدراســـة ، التي تبحث عن الحبكات المعقودة بين «رفاق الطاولة»٠ ويضفي فورييه على التذوق الجماعي ميزة « تشجيع الثقافة بالشره وربط كل الالية الصناعية » بتشجيع طلب النظام والتوفيـــر بتصنيف الاذواق والتحضيرات والانواع والسبل الزراعيـــة وحفظ المواد الغذائية ٠٠ فالطبـــخ ام الجاذبية الصناعيـــة فالادوات المستعملة في مختبرات المطابخ مكونة من الحلوى ٠
٠ ويصف فورييه مثلا تجمع الصغار والصغيرات حـــــول

الطاولة المنحنية التي يستعملونها لتفصيص وفرز الحمص الاخضر : ضمنهم طفل يبلغ السنتين من عمره تسمح لـــه بالتدريب على هذا العمل (الثانوي) الامر الذي يعزز ثقتـه بنفسه ويدفعه الى مزيد من الانتاج • واثر هذا العمل البسيط على استعدادات الطفل هـــام فهو يتيح له الربط بين نهمه ونشاطه المستقبلي النافع ، كما تريح هذه المهمة فورا عمالا في الثلاثين وتسمح لهم بالالتفات الى اعمال اكثر صعوبـة وقسوة •• ولتدخل الاطفال في المطابخ ميزات ثلاث :

١ ـ تدريب هؤلاء الاطفال على القيام باعمالهم فـــي مدرسة رجال متمرسين •

٢ ـ توفير منافسة لهؤلاء الرجال •

٣ ـ تحرير الرجال المدربين من مهمة يمكن للاطفـــال القيام بها •

بينما يطور الطبخ حاستي الذوق والشـم (الحاستان اللتان يعتبرهما فورييه ناشطتين ومحفزتين للعمـل) تؤثـر الاوبرا على حاستين كانتا سلبيتين لو اكتفى الناظر بالاستماع والمشاهدة ولكن الطفل في نظام التوازن الكامل الذي يحتاجه العالم الجديد الصناعي والعاطفي •• ويعتبر فورييه الاوبرا، او مدرسة الوحدات المادية ، صالون التربية الثاني بعد المطبخ لانها تمثل تجمع كافة التناغمـات المادية الموزونة « التدخـل الموزون لكافة الاعمال والاجناس » غنـاء ، استعمـال الآلات

الموسيقية ، شعر ، ايماء ، رقص ، حركات تعبيرية ، تصميم ازياء ، واخيرا الميكانيكية المنظمة ، او التوزيع الرياضي المتزن . واذا استهجنت الطبقة القادرة في نظام التمدن على دفع نفقات الاوبرا « التناسق المادي » فذلك لاعجاب الشعب به . فالطبقة الموسرة المتمدنة التي « تحتقر الشعب وذوقه تفضل التجاهل الخبيث للنقاط المشتركة بين ملاهيها وملاهي الشعب » لن تكون لعبة التوازن مزدوجة بل وسيلة للتعبير عن العواطف ولن يكون هناك ممثلون عندما يتحول الجميع الى ممثلين . ولن يكلف بناء الاوبرا او عملها شيئا بالنسبة لسكان المرحلة الثامنة وكلهم من البنائين والحدادين والنجارين بالجاذبية منذ طفولتهم . وبما ان كافة مدعي التوازن يولدون على خشبات نفس المسرح وبما ان كل مجموعة سيكون لها نشيدها وغنائيتها تنشد عند بداية وختام كل اجتماع سيكون ضئيلا عدد هؤلاء الذين لا يتمتعون باذن حساسة وصوت رخيم . وهذه الدقة وهذا الانضباط هما الطريق الى العدالة ، فالاوبرا هي مدرسة اخلاق تعود الشبان على الانف من كل ما يجرح الحقيقة والانضباط والوحدة . وتسمح الاوبرا لمدعي التوازن الصغار الاندماج بالتناسق الذي تمثله بصورة مصغرة « باعتبارها صورة للنظام الاشتراكي الذي يحقق سعادتهم » .. وتثير الاوبرا حماس الصغار وتشجعهم على العمل اللعبي بطريقتين على الاقل : بوصفها مكانا جذابا للعمل وبوصفها مناسبة للعمل النافع .. ويعتبر فورييه مهنة الموسيقى لعبة بحد ذاتها تتم بصورة اكمل اذا قام المؤلف باللعبة . واذا اضفنا الى هاتين الوسيلتين دور المربي الذي يجاري رغبات الطفل وينساق

معها لدفاعه الى اشباع رغباته من نشاطات البالغين نكون قد حققنا النشاط المتوازن تماما · هذا هو السبب الذي يجعل في المرحلة الثامنة من كل متدرج معلم · وفي الواقع يستمر التعاون التعليمي في الشؤون الموسيقية فيتدرب مع الصغار فيتدرب الاستاذ الصغير على الحيوانات كتمرين المواشي على الاطاعة مع الاخذ بعين الاعتبار كون الحيوانات كالصغار تملك تمييزا مبرما بكل ما يتعلق بالفم · ولا ترتكز تربية مدعي التناسق على اي شرط فهم على عكس الحيوانات كائنات مركبة من قوة وعقل لذا فهم يلجأون الى الحيل التي لجأ اليها اساتذتهم ورفاقهم ··· « مثلا تحمل ثلاث مجموعات في نفس الوقت طعامها الى مجموعات الاوز وتعمد المجموعة المسؤولة عن الاوز « أ ب » الى خداع المجموعتين الباقيتين «ج د» و «هـ ز» اذ انها تدق اجراس «ا ب» ولا تعطي الآخرين شيئا وبعد بضعة لحظات من القلق تعمد الى اطلاق نداء بقية المجموعات الحقيقي وبعد ان تنخدع الاوزات عشرات المرات تتعلم التمييز » بين الدقات المختلفة ·

٥ ـ العشائر الصغيرة

يتفهم مدعو التوازن بسرعة كون الحيوانات مخلوقات صغيرة بسيطة (تحركها الحوافز الالهية) مخلوقات تختلف عن الانسان ، مخلوقات لا تنتج الا بالقدر الذي تحسن فيه معاملتها · وبما انه يجب في المرحلة الثامنة سكب دم الحيوانات التي نحبها لاكلها وحتى لا يؤخذ الجزار في دائرة التهديم المفرغة وحتى لا يصبح اكثر بوهيمية من الحيوانات

التي يقتلها اي «اضعف منطقا من الاطفال انفسهم» يضمن مدعو التوازن الصغار المحافظة على الامن في عالم الحيوانات . وتشكل هذه العشائر الصغيرة التي تكمل مع العصابات الصغيرة فرق الثانويين والرياضيين في مرحلة الطفولة المتقدمة . ويقتضي « عملهم السلبي » نفي النفي الظاهر والقضاء على كل عقبة تتعارض ونظام الانسجام . وتستقل العشائر الصغيرة بالاعمال الحقيرة تمارسها بتعبد مع المعتادين وتنال المكافآت على جهودها . ويجيب فورييه على اعتراض بعض المتمدنين عليه بوجود بعض الاعمال المنفرة للحواس بقوله « يجب ان نتوصل وبتجرد مقدس الى ممارسة الوظائف الاكثر غثاثة وتمييزها عن تلكالتي تثير نفورا مباشرا وبسيطا . يجب ان نوازن بينها بالتخطيط والنقاش غير المباشر : تدفع العشائر الصغيرة اولا الى « العاب الجاذبية المركبة وغير المباشرة » بواسطة الدوافع الخارجة عن طبيعة العمل « الروح الدينية الوحدوية والشرف التضامني » . لتستحق العشائر الصغيرة لقبها « المجاهدون في سبيل الله في خدمة الوحدة الصناعية » يتوجب عليها الاضطلاع بكل الفروع الصناعية المنفرة التي يمكن ان تدفع الى تكوين طبقات من الاجراء والاناس المحتقرين . ووظيفة العشائر في الحفاظ على الشرف والانسجام الصناعي تدفعهم الى القيام بجميع الوظائف المنفرة من جمع الطين والمواد البرازية . وتندفع العشائر الصغيرة للقيام بهذه الاعمال لسببين سلبيين يعطي تآلفها تأثيرا ايجابيا . فالعشائر الصغيرة تعرف ان اعمالها ارفع اجرا من بقية الحرف كما انها تحب هذه الوساخة التي تثير اشمئزاز الاناس العاديين .. اننا لنجد بين الاطفال

الذين تتراوح اعمارهم بين التاسعة والخامسة عشرة نسبة ٣،٢ من الصبيان و ٣،١ من البنات ميلا الى الوساخة والسفاهة وحب التمرغ في الوحل ٠ وتعتبر اخلاق المتمدنين الذين لا يعرفون الاستفادة من الاموز التي لا يمكن ردها، هذه الوساخة فسادا رغم ان الاختيار قد برهن انها حاجة جديرة بالاشباع قادرة على ملء بعض الوظائف الطبيعية ٠ وتعتبر عادة الوساخة حافزا ضروريا لانتماء الاطفال الى العشائر الصغيرة ومساعدتها على تحمل القرب الملازم للاعمال المقززة وفتح ميدان واسع من النجاح الصناعي والتجرد الوحدوي في جبهة القذارة ٠ ويبين لنا مثل العشائر الصغيرة كيف تحول الجاذبية السلبيات الى ايجابيات في المرحلة الثامنة ، فالخطأ المتوازن يقتضي استعمال « السلبي المركب » اي فن استغلال خطأين متناسقين لتوليد فضيلة ٠ وتتوافق هذه الوسيلة عادات العشائر الصغيرة مع اذواق العصابات المهذبة وككل الاخويات تتعرف العشائر الصغيرة على اعضائها من خلال الارغو ، الاسم الذي يدلل عليها بالاضافة الى لهجتها السوقية ٠ ويعوض عن تطرف لهجتهم تهذيب العصابات الصغيرة التي تمارس لحسن اخلاقها مهمة الرقابة على الكلام ونشر الميل الى الرهافة ودقة التعبير ٠ ويتجه هذا الامر ظاهريا في المرحلة الثامنة الى تفكيك الوحدة الاشتراكية التي تضمن التوازن المتناسق هذا هو السبب الذي يجعل من العشائر الصغيرة الحجر الاساسي ومفتاح العقد ٠ ذلك ان اعمالهم تقتضي التوحيد بين الاعمال الدنيا ذات الرائحة الكريهة وبين الاعمال الرفيعة الجميلة ٠ وتضع العشائر اللبنة الاساسية لانها تضمن وظيفة الربط بين مختلف الفروع ٠ فيفضل اذواقهم يجد

الاضداد تناسقهم وتوازنهم اي وسيلة تنسيق قواهم تساعد العشائر بانجذابها الى الارض كالاحجار على الابقاء على المدنية الكتائبية · ويدل مثل الارغو كيف ان الالتباس والانتقال هما الرابط في نظام الحركة بكامله · وسواء كان المثل مقبولا ام لم يكن فهو يشكل الوتد العمالي الذي يتوجب ان يكون موضع حساباتنا الدقيقة · كل شيء يدعونا الى الاعتقاد بان العشائر الصغيرة ستهزأ وتمزق الكتب الاخلاقية السياسية العائدة الى عصر الحضارة وتخضعها الى اسوأ معاملة قبل ان يعاد طبعها واضافة تحليلات مضادة اليها « ليجعلوا منها الاضحوكة الدائمة للنوع الانساني » ويتنبأ فورييه لحوليات وتواريخ المرحلة الخامسة بالحرق والتطهير لتهدئة الغضب الذي سيعتمر في النفوس لدى قياسهم الوقت الضائع في التفكك · وعندما تهدأ النفوس يطلع المثلون على تاريخ العالم ويفسرونه باعادة تمثيله من اجل محبي علم الاثريات الاجتماعي ·

الجداول

الجدول الاول – تطور الحركة الاجتماعية

- تطور الحركة الاجتماعية
  - المنحنى التصاعدي
    - الفوضى التصاعدية
      - عدن
      - الهمجية او التوحش
      - نظام الابوة
      - البربرية
      - الحضارة
      - الضمانة
      - الاشتراكية
    - التناسق التصاعدي
      - تسعة مراحل
  - القمة او السعادة
  - المنحنى التنازلي
    - التناسق التنازلي
      - تسعة مراحل
    - الفوضى التنازلية
      - سبعة مراحل

الجدول الثاني — تدرج العهد الاول للعالم الاجتماعي

المرحلة السابقة للانسان

العهد	المراحل	الأطوار	الحركة
العهد الاول للعالم الاجتماعي	المراحل السابقة للصناعة	١ — عدن، او البدائية	تراجع
		٢ — الهمجية او التوحش ، الجمود	
	الصناعة المجزأة الكاذبة الكريهة المزيفه	٣ — نظام الابوة ، الصناعة البسيطة	
		٤ — البربرية الصناعة المتوسطة	
		٥ — الحضارة الصناعة المتقدمة	اندفاع
	الصناعة الطبيعية المنسقة الجذابة الصادقة	٦ — الضمان	
		٧ — الاشتراكية	
		٨ — التناسق	قفزة

الجدول الثالث – جدول تطور الحركة الحضارية

تطور الحركة الحضارية	المنحنى	المرحلة	الأمثلة
	المنحنى التصاعدي	المرحلة الاولى الطفولة العصور القديمة	زواج واحد ودائم حقوق الزوجة المدنية
	التحرر الشخصي	المرحلة الثانية المراهقة العصور الوسطى	الامتيازات الاقطاعية تحرير الصناعيين
تطور الحركة الحضارية		القمة أو الكمال الازمنة الحديثة	فن الابحار الكيميا الاختبارية
	المنحنى التنازلي	المرحلة الثالثة الرجولة (القرن ١٨)	الفكر الميركانتيلي والضريبي الاحتكارات البحرية ، المستعمرات
	الاستعباد الصناعي	المرحلة الخامسة الوهن (القرن ١٩)	السيطرة الخاصة الاقطاع لا التجاري والصناعي

الجدول الرابع ـ الاهواء الاثنا عشر الجذرية

التناسق أو الوحدوية	الاهواء الحسية	الترف	الحسية: ١ ـ الذوق، ٢ ـ النظر، ٣ ـ السمع، ٤ ـ الشم، ٥ ـ اللمس
	الاهواء المحركة	المجموعة	العاطفية او القطبية: ٦ ـ الصداقة، ٧ ـ الطموح، ٨ ـ الحب، ٩ ـ العائلة
		الفئة	التوزيعية أو المحركة: ١٠ ـ الخفية، ١١ ـ الفراشة، ١٢ ـ للمركبة

الجدول الخامس ـ مراحل التربية المتناسقة

مرحلة الطفولة الاولى ١٠ الى ثلاث سنوات — صبية

المنحنى	المرحلة		القوى	الخصائص
المنحنى الاسفل	المرحلة الاولى الطفولة ٣ ـ ٥ سنوات	أطفال	القوى الجسدية	الخصائص المادية
	المرحلة الثانية الطفولة المتوسطة ٥ ـ ٩ سنوات	طفل جميل ملائكة	القدرة الصناعية	
المنحق الاعلى	المرحلة الثالثة الطفولة المتقدمة ٩ ـ ١٥ سنة	ثانويون رياضيون	قوى النفس	الخصائص الروحية
	المرحلة الرابعة الطفولة المختلطة ١٥ ـ ٢٠ عاماً	مراهقون	القوى الروحية	

الفصل الثالث

الجاذبية الصناعية

١ • ـ المجموعات والفئات

٢ • ـ تقسيم العمل

٣ • ـ آلية المساهمة

٤ • ـ الاعمال العظيمة

المجموعات والفئات

ويبين لنا مثل العشائر الصغيرة كيفية عمل الجاذبية غير المباشرة · علما ان الجاذبية المباشرة الناشئة عن موضوع ممارسة الصناعة تسود في ٨/٧ الوظائف الاشتراكية عندما يصار الى تكوين الفئات العاطفية بصورة منهجية · فالفئة قبل كل شيء « سلسلة مجموعات » وتعتبر المجموعة على الصعيد العاطفي جماعة يربط بينها الميل الى وظيفة معينة · ويوزّع الافراد الذين يكونون هذه الفئات او المجموعات وعددهم سبعة على الاقل الى فرق، يعني التوزيع المجزأ بالنسبة اليها تخصيص كل وظيفة مهما صغرت لخدمة معينة والحدود العددية القصوى لها هي ٣٢ عضوا ويجب علينا الا نطلب من فورييه ايضاحات اكثر تحديدا فالتوازن لا يتطلب سلما من المجموعات المتناسقة الدقيقة كالقواعد وخصوصا عند اقتراحها قبل اختيار النظام الفئوي ويمكن للمجموعات استيعاب عدد كبير من المنتسبين وفقدانهم ، فاذا فقد احد الاعضاء بسبب التقلب او الوفاة فيمكن استبداله دون ان يؤثر هذا على عمل المجموعة · فكل فئة تضم بين تقسيماتها الملحقة احتياطيا من الاعضاء يسمح بمواجهة الازمات وهنا يكمن سر دوامة المجموعات واستقرار اذواقها · ويمكن للافراد الانتقال بحرية من مجموعة الى اخرى لان هذا الانتقال يتم بانتظام : اذ يبلغ عدد المبادىء الاساسية للعلاقات الاجتماعية اربعة بعدد الاهواء العاطفية التي تسيرها ·

ويبين جدول « السيطرة النقابية للمجموعات » خلال الحياة الانسانية حلول الصداقة في المرتبة الاولى في مرحلة الطفولة ثم تستبدل بالحب حتى انتهاء فترة المراهقه لدى دعاة التوازن ، وفي مرحلة الرجولة يتحد الحب مع الطموح ٠ والجدير بالذكر ان الطموح هو الذي يوجه ويكيف كافة اعمال مرحلة النضوج فيما توجه روح العائلية نشاطات مرحلة الشيخوخة ٠ وتضم المجموعات افرادا من كافة الاعمار ويشجع المنتسبون بعضهم البعض على العمل ويعمل الجميع متحدين في اطار الصداقة الناشئة عن تقارب الميزات والميول الصناعية وفي اطار الطموح الذي ينمو بفضل اتحادات تنشأ لتحقيق الانتصار والمنفعة، اتحادات يشجع فيها المتقدمون المتدرجين ٠ فالحب الذي يقوم على التجاذب بين المزاوجة والعشق العذري (او رابطة القلب) يدفع النساء الى تدريب الرجال والعكس بالعكس ٠ اما علاقات القربى التي تقويها روابط الدم والتبني فان المتدرجين هم الذين يدفعون المتقدمين ٠ تحرك كل عاطفة اساسية المجموعة بدافعين على الاقل الاول وهو مادي (مثلا الميل الى المزاوجة) والثاني روحي (كالحب العذري) ٠ وتكون المجموعة مركبة اذا تدخل الدافعان متحدين والا فانها تكون بسيطة ٠ وتكون المجموعة مختلطة اذا حركتها دوافع تنتمي الى مجموعات مختلفة ٠ وهي متفرعة اذا انضم دافع ثالث الى دافعي المجموعة الواحدة ٠ وهي ثنائية التركيب اذا ضمت اربعة دوافع من مجموعتين مختلفتين ٠ وكلما اكتملت المجموعة كلما عملت بصورة افضل وتوازنت قواها ٠ فأفرادها لا يكتفون بدفع بعضهم الى العمل بل يشجعون بعضهم البعض على تهذيب

لهجتهم ٠ وتجد المنافسة حافزها في الانتقاد الداخلي الانتقاد الذي لا يتحول الىالاعتذار الاعمى او الى التسامح كما يحصل مع الصغار ، ويعبر عنه بدعابة او جدية (في مجموعات البالغين) دون ان يمنع هذا المنتسبين من التعامل بلطف واحترام ٠ ولا تعمل المجموعات بفضل التشدد الداخلي فقط فهي تقيم علاقات مع بقية المجموعات لان افرادها ينتمون الى مجموعة ثانية في مرحلة ثانية من حياتهم اليومية ٠ لذا تؤثر الفئات على المجموعات كما تؤثر المجموعات على افرادها « وهما تتوزعان بنفس الطريقة » ٠ ويعلم « حساب الجاذبية المتطورة في الفئات » على تشكيل الفئة او اتحاد سلسلة من المجموعات المتفاوتة المراتب ، يجمعها الميل الى القيام ببعض المهام ٠

ويجب ان تكون الفئات العاطفية متناقضة متنافسة منتعشة ومترابطة فيما بينها ويعني تناقض الفئة توزيعها الى اجنحة تصاعدية او تنازلية حسب منزلتها من مركز الفئة لذا يصار الى اختيار المنتسبين بطريقة يكوّنون معها تناقضاً وتدرجاً في عدم المساواة من الغني الى الفقير من العالم الى الجاهل ومن الشاب الى العجوز ٠٠ فكلما تدرج وتناقض التفاوت وعدم المساواة ، كلما اندفعت الفئة في العمل وانتجت ارباحا ومنحت توازنا وتناسقا اجتماعيا ٠ ويجب ان يساهم التوزيع المنظم للفئة في تدعيم دور الميزة الاساسية اي تعادل التأثير المزدوج لجماعات الاطراف المتناقضة على المجموعات المتوسطة ٠ ويعتبر فورييه الطائفة ميزانا تعطيه التوترات الداخلية دافعه وتوازنه على السواء وفق قاعدتين لا تفترقان «للمركز عمل مزدوج تنافسي» والتأثير المزدوج لوزن الاطراف

المقابل : « وهكذا نفهم سبب وجوب تكوّن الفئة من ثلاث مجموعات كشرط اساسي لاعتبارها منظمة » • ويمكن ان تضم الفئة اربعمائة وأربع مجموعات دون حساب المحور وتسمى (المنظمة) وتعتبر الفئة حرة اذا كان عدد مجموعاتها غير محدد ويعتبر فوريية ان عدد المجموعات في الفئة الواحدة يجب ان يدور حول الثلاثين وان كان يترك للتجربة التصنيفية ان تعطى دروسا اوفر من تلك التي يقدمها • فالمهم بالنسبة اليه هو اكتشاف نظام اجتماعي يكون تقسيم العمل وسيلة الوحدة فيه على غرار المجموعات والفئات حيث تتالف الهوية مع التناقض عكسها الظاهري •

٢ ـ تقسيم العمل

ساهم تقسيم العمل الذي بدأ مع التحيز الجنسي ، بالتفريق بين الاعمال الحرفية والفكرية الذي ازداد خطورة بالقطيعة بين المدن والريف • وفي نظام التوازن وان جرى تقسيم الاعمال الى اقصى حد تبقى الاعمال النظرية والتطبيقية متحدة كما يتحد الرجل والمرأة اللذان يقومان بهذه الاعمال كذلك تنتشر المصانع في كافة انحاء الريف وكتائب الكرة الارضية بدلا من تركيزها في المدن حتى لا ينحرف الانسان عن خط الجاذبية عند ممارسته العمل في الفبارك : « فقد اعطى الله العمل الصناعي نسبة معينة من الجاذبية تعادل ربع الوقت الذي يكرسه الرجل الاشتراكي للعمل » • ولا ينحصر اهتمام فوريية بتأكيد اولوية الزراعة على الصناعة فهو يبتغي اقامه مبادلة توافق بين الصناعة والزراعة مبادلة تدفع طبقتي الانتاج الى مساهمة الواحدة في نجاح الاخرى • ولا بد من احترام

ثلاثة مبادىء لتحقيق التوافق الزراعي الصناعي :

١ ــ اقامة الجاذبية بنسب متفاوتة بالنسبة للاجناس الثلاثة ذلك ان الاطفال والنساء والرجال لا يملكون نفس القدرات ولا نفس الميول ...

٢ ــ احتفاظ النساء بنصف الوظائف في الفروع المربحة فمن الضروري ان نعترف لهن بدورهن كمنافسات للذكور لا كتابعات لهم .

٣ ــ تنظيم كل فبركة حسب فئات التنافس .

فالعاطفة الخفية تجد سعادتها في الصدام والكراهية كما تجد العاطفة المركبة (المكونة) سعادتها في الود وتؤمن العاطفة التعاقبية التوازن بين الميكانيكيتين السابقتين. وتحافظ العاطفة الطائشة (الفراشة) على التوازن بينها كما يحفظ ذراع الميزان التوازن بين الكفتين . ويصار الى توزيع « الوزن المقابل » للفئة في جلسة البورصة اليومية . ويكون الوضع المختلط احدى التقسيمات المكملة للفئة .. وتضم هذه المجموعة المفاوضين المناسبين لها سواء قرب بورصة الكتائب او الكتائب الريفية او المؤتمرات الريفية او في المناطق . ومهمة هذه الوسائط هي المساهمة في (الاجتماع الاستشاري) للتشاور سواء اثناء العمل او الطعام او التسلية حول جلسات الغد المتنوعة ، وجلسات الايام القادمة بالاضافة الى الاستعارات والقروض من الكتائب المجاورة . ويعني التنسيق في « جمعية التحاور» هذه، التي ينتظم فيها الانتاج والاعياد يعني التنسيق: التنظيم وحبك المكائد وهنا تبرز وبأفضل صورة صفة اللعبة التوزيعية . وتجتمع يوميا في كل مقاطعة للتفاوض اكثر من ثمانمائة جمعية عمل وطعام ومسايرة وسفر وغيرها وتتطلب

وتضم هذه المناقشات بين عشرة او عشرين شخصا وأحيانا منة شخص مما يعني وجوب ايجاد الحلول لاكثر من عشرين الف مناورة في ساعة واحدة · ويقوم الموظفون بالتوفيق بين هذه الاجتماعات بالاضافة الى الاجراءات المتخذة لتمكين كل فرد من متابعة ثلاثين قضية في وقت واحد · ويجري التفاوض بالرموز والاشارات وهكذا يتمكن كل مفاوض مدير لاحدى الجلسات من ان يتناقش مع كافة الافراد ويناور بواسطة مساعديه لمصلحة عشرين مجموعة او عشرين فئة او عشرين مقاطعة معا دون ان تقع اي فوضى او يشوب اي التباس · وتتفاوض النساء والاطفال كالرجال لتحديد اجتماعاتهم المتنوعة ، ويشكل الصراع الناشيء كل يوم حول هذا الموضوع بين الفئات والمجموعات والافراد اللعبة الاكثر اثارة « وأنشط مناورة معقدة يمكن ان تنشأ » : وهكذا تعتبر البورصة التسلية الكبرى في نظام التناسق ·

وترتكز وحدة العمل في الفئات المكونة بشكل منظم :

١ ــ التدرج المتماسك الذي تمنحه العاطفة العاشرة ·

٢ ــ الاجتماعات القصيرة التي تتطلبها العاطفة المتناوبة ·

٣ ــ والممارسة الجزئية تبرز فرح العاطفة المثيرة للحماس ·

وفي الواقع يزداد دافع المكوّنة بنسبة عدد الفئات التي ينتمي اليها الفرد فكلما تعاظم عدد هذه الفئات كلما تردد الفرد

بالتضحية بها في سبيل فئة واحدة وبدا عازما على دعـــــم
حقوق الاربعين طائفة التي يود صد ادعاءات كل واحدة منها .
وتود العاطفة الطائشة (الفراشة) تحديد مهلة اطـــــــول
للاجتماعات بساعتين فكلما كانت الاجتماعات قصيرة ونادرة
كلما تمكن الفرد من الاهتمام بأكبر عدد من الفئات والانتماء
اليها خصوصا وان تأثيراتها لا تتنازع اذا امتصت احداهـــا
كل اوقات المنتسبين واثارت حماسهم . ويولي فورييه للعاطفة
الخفية الاهمية الكبرى بتأكيده على وظيفة التدرج المتلاحـــم
اي على تدرج وتناسق الصفات والميزات : فالمتباين في الاذواق
يساهم في خلق التناقض في الفئة الامر الذي يعني اقـــامة
استمرارية من التمايز والتعارض . يجب ان تكون كل مجموعة
من الطائفة او الكتيبة في حالة من التباين مع المجموعتـــين
المجاورتين لها وفي حالة من التباين المتدرج مع المجموعـات
الادنى منها ليجري التوازن بين الاتفاقات والتناقضات . وهنا
توجد النواة المحركة لميكانيكية التوازن حيث تتصنف كل الامور
كما في المجموعات بالتناقض او الرابطة غير المتجانسة كمـا
تتصنف عن طريق التماثل او الرابطة المتجانسة (فالتطـابق
او التعاطف) يتشكل دائما عن التوفيق بين التماثل والتناقض .

ويعتبر فورييه ان الطبيعة بدأت عملها بخلـق التناقض
والخلاف فأوجدتهما قبل ايجاد الوفاق ، فالله قد أوجـد في
الانسان ميلا قويا الى النزاع والتنافر وهذا الميل هو البـذرة
الاساسية للفئات والبذرة الاساسية للجماعات المتناقضـــــة
والمتدرجة شرط مراعاة النسب . وتوفر حسابات العاطفـــة
العاشرة النسب الصحيحة التي تحتاج اليها الفئة لتتشكل .

ومتى تكونت الفئة تبقى الخلافات مصدر وجودها ٠ لذا يجب أن تبقى الفئات والمجموعات في حالة من التنافس التـــام ٠ ويدفع الفكر الخفي ، وهو مصير الانسان الحقيقي ، الجماعات المتفرعة الى اتهام بعضها البعض بتبني الافكار الخاطئـــــة وبالجهل والابتداع كما تتهم بعضها البعض بقلة الذوق وانعدام المنطـــق ٠

٣ ـ آليــة المساهمــة

يمكن لمدعي التوازن الانتماء الى عشرات الفئات ، ولكن ما هي المعايير التي يجب اعتمادها لتوزيع الارباح عليهـــــم خصوصا وان مهارتهم تختلف باختلاف العمل الذي يقومون به ، كما تختلف قيمة هذا العمل من فئة الى اخرى ٠ فما هي قيمة هذا العمل ونسبته الى الربح الاجمالي ٠ وحتى يشـــغل فورييه نظام المصلحة المركبة التي توفق بين وسائل الربـــح العام وأسباب الربح الفردي ، يقترح توزيع عائدات الكتيبة الى العائلات او الفئات نفسها على ان تعـــمد هذه العائلات الى توزيعها على اعضائها ٠ والشرط الاول في الاجر الاشتراكي هو ان يكون كل عامل شريكا يجازى على اساس عمله ولا ينال أجرا ٠ وفي النظام المركب تحصـــل كل عائلة على اسهم من الربح ليس بالنسبة الى انتاجها الخاص وحده بل على اساس الانتاج الكلي للعائلات وتتم اعادة توزيع الارباح بالنسبة الى رتبتها في الجدول المقسم الى ثلاث درجات : الحاجة، المنفعة ، اللهو ٠ وفي الواقع يصـــار الى تصنيـــف العائلات وفقا للاتفاقات العامة لا حسب الانتاج وتقدر أولويتها وأهميتها وفقا للاسس التاليـــة :

١ ـ الفئة الاهم هي التي تساهم بفعالية اكبر في توثيق الرابطة الاشتراكية بصرف النظر عن مدى انتاجها كما هي حال العشائر الصغيرة ٠

٢ ـ يضع النظام الاشتراكي في المرتبة الاولى الاعمال الشاقة المتعبة ٠

٣ ـ يجب مراعاة قانون الموازنة المقابلة فنضع في الدرجة الاخيرة من الاستفادة من الارباح الفئة التي تأتي في المرتبة الاولى لجهة الجاذبية ومدى الاقبال عليها ٠

ويصنف الافراد كالمجموعات بالنسبة الى الارباح العائدة اليهم ومعايير التصنيف لدى الافراد هي تلك التي تحدد العدالة التوزيعية وهو التوزيع المتناسب مع الخصائص والكفاءات والإستعدادات الثلاثة « الرأسمال ، والعمل ، والموهبة » ٠

ولا بد من القضاء على كل تناقض بين الرأسمال والعمل «باقامة التوازن بين حصة النشاط الفردي وحصة الرساميل» اي تنظيم الامور حتى لا تعود الرساميل على الاشتراكيين بأرباح تفوق تلك العائدة لهم بفضل مواهبهم ونشاطهم ٠ ويحدد فورييه الموهبة « بأنها مجموعة المعارف النظرية والتطبيقية التي يبديها دعاة التوازن في ممارستهم لاعمالهم» ٠٠ وانطلاقا من هذا الامر يمكن للفرد ان يتوق الى اعلى المناصب والرتب في المجموعات التي يبدي فيها تفوقا ولا يحصل الا على حقوق

قليلة في المجموعات التي يبدي فيها نشاطا عاديا غير ملحوظ٠ اذا طلب احد المتوازنين اكثر من حقه في مجموعة معينة يخصم المبلغ الاضافي من ارباحه المستحقة في بقية المجموعات التي يمارس فيها بعض الاعمال فمصلحته اذن تتحقق بالحفاظ على التوازن بين الطمع والجدارة ٠ وتتيح ميكانيكية « المساهمة المتدرجة » لكل عامل الاستفادة من ارباح كتيبته وحتى من ارباح المقاطعات المجاورة ٠ بهذه الطريقة وحدها يحافظ كل فرد على روحية المالك المشارك في مصلحة ، وعلى حب النظام والادخار العام والاستقرار ٠

يوظف مدعو التوازن اموالهم في المؤسسة بثقة كبيرة ، وهذه الثقة هي ثمرة التمويل الانساني الذي استفادوا منه في مرحلة « الاعداد وغرس الجاذبية الصناعية » ٠ ويتيح نظام « الصناعة المستقبلية » فرصة الحصول على سلفة تعادل ثمن الملابس والغذاء والمسكن لمدة عام لكل اشتراكي فقير دون اي تخوف لان انتاج الاعمال التي يمارسها الفقير لاهتمامه بها يفيض عن قيمة التقديمات التي سلفت اليه ، وبعد الاحصاء تكون الكتائب في نهاية الحساب قد تحولت الى مدينة لكل الطبقة الصغيرة التي قدمت اليها هذه السلفة الصغيرة ٠ ومدعو التوازن الفقراء هم اغنى من المتحضرين الاكثر امتيازا اذن مدعو التحضر هم على عكس البروليتاريا : فهم ينتجون منذ طفولتهم ليتجاوزوا بوجودهم العيش البسيط ٠ ولا تنحصر ميكانيكية المساهمة المتدرجة بالمعنى الاقتصادي بل تتجاوزه الى المفهوم السياسي فمكافات الجدارة تتضمن فقط الاموال المادية لذا يمكن لدعاة الانسجام الحصول ايضا على مناصب

ووظائف تجعل منهم مسؤولين عن بعض المهمات الادارية ٠٠ بما ان الطموح يعتبر احد افضل الاهواء المتحفزة للاهتمام بالعمل ، تؤدي مضاعفة الفئات الادارية الى ان تعمل كل عائلة وفق نظام عمل الجيوش التي يفوق فيها عدد الضباط عدد الجنود ٠ لذا يشغل الفرد في النظام الاشتراكي عدة وظائف تختلف اهميتها باختلاف درجاتها (التي تختلف باختلاف الجماعات والقطاعات التي تنتمي اليها) لذا يتحول المدير هنا الى تابع هناك فالانسجام هو عالم من الاعياد الدائمة ٠ ويعني تعبير التسلسل الكروي توزيع السلطة بنفس الطريقة في كافه انحاء الارض ويمكن أن يفهم ايضا هذا التعبير بمعنى دوران الوظائف الدائم ، بمعنى ان الاعلى مرتبة والاقل مرتبة يتبادلان مراكزهم بصورة دائمة ٠٠ يسود الجميع في الكتيبة اذا كانت السيادة تعني سيادة النظام الذي نريد ٠

٤ ـ الاعمال العظيمة

ويجد الهوى الخفي مناسبة لاشباع نفسه في « الجيوش الصناعية المستقطبة » التي تقوم بسرعة ودون تكاليف بأعمال عظيمة تدفع قيمتها بأسهم تؤخذ من الارباح المستقبلية المنتظرة خلال السنوات القادمة لذا فهي تهتم بمتانة العمل وينشأ ثلاثة انواع من المنافسة في حروب المناورة : الصناعة والشره والحب ٠ وتقضي معارك الجيوش الصناعية تململا على اخطار التبذير والعمل السيىء فهذه المعارك هي نوع من السباق الهادف الى تحسين واختبار وسائل الانتاج في ادق تفاصيلها٠ وتهدف المواجهة بين الجيوش الصناعية الى السيطرة على

الكرة بكاملها للبت بالتدرج النظامي المنهجي حول افضل الوسائل الواجب اعتمادها في كل وظيفة • ويبين فورييه كيف تجمع الجيوش لمصلحة العلم والمنفعة بين المفيد النافع والظريف ، وكيف يتحول كل شيء الى معرفة اكيدة في نظام الانسجام والتوازن مستعينا بأمثلة متعلقة بالغذاء ، لانها تكون مقبولة بصورة افضل من القراء الذين خبلتهم اخلاق المتمدنين مما لو اختيرت من ضمن الامور العاطفية •• وهكذا نجد ان الحملة الصليبية هي جيش من الآلهة او الاسياد في المحبة والصناعة •• ويجري اختيار الصليبيين بهذه الطريقة في المرحلة الثامنة لان المحرضات والدوافع ترفع بعض الاعمال الى مرتبة الآلهة •• وكلما كان القبول في هذا الجيش من المختارين موضع تحايل كلما استمات الجيش في سبيل القيام بأعمال لمنافسة الجيوش النظامية • ويجد هذا التنافس بين الجيوش المتزاحمة والمتنافسة مصدره في التحديات التي تطلقها هذه الجيوش وتعتبرها كدعوة للمساهمة في اللعبة التي لا يمكن لها رفضها : فالامر يتعلق بشرفهم • ويعني احترام قواعد اللعبة خرق المحظورات التي فرضتها الاخلاق المدنية • ذلك ان كافة الرجال في المرحلة الثامنة يملكون القدرة على الحياة وفق مبادىء مختلفة عن مبادئنا •• ويدخل الحساب في حياة الاهواء عن طريق فضيلة القوى الخفية دون الالتفات الى الخبث او الاهتمام بالرياء بل باعطاء بعض المباهج صفة ومزايا روحية •• وتشبه حرب العواطف فينظام الانسجام الحرب في لعبة الشطرنج : الامر الذي يفسر لنا وقوع بعض الرياضيين الاقوياء في شرك النساء (كما نأخذ الحجارة من اللاعبين المتنافسين معنا) •

ويدرج فورييه وسط شروحاته النظرية ، قطعة مسرحية غريبة يلقي الضوء فيها على بعض الاشخاص المهتمين بانقاذ اجمل امرأة في الشرق بعد وقوعها في الاسر ·· ونتساءل امام نبرة الابطال واندماجهم العاطفي عما اذا كانت عواطفهم من « البطلة المقدسة » صادقة او مختلقة مصطنعة ·· وفي الواقع يعيش دعاة التجانس بحماس ما يبدو لنا مسرحيـــة ساذجة كما يعتبرون لعبة الامور التي نحولها نحن الى دراما وتنعدم سوء النية في مشاعر « طالبي القرب » الذين يتنافسون على جمال فاكمي فأحدهم مثلا يفقد الوعي حين تتظاهر برفض حب كل مطارديها الامر الذي يدفع فاكمي الى التراجع عـــن تهديداتها وقبوله كمنقذها ومخلصها الوحيد ·· ولكن هـــذا الاختيار يثير الباقين الذين يبدون احتجاجهم · هذا يعني انك تهزئين بنا بل كان علينا فقدان الوعي لاغوائك ؟ وفي الحقيقة فقد الممثل وعيه فعلا بعد ان اخذه الموقف وانسجم في دوره رغم ادعاءات الباقين (الذين يغارون منه) انه اختار هـــذا السبيل ليستعطف الامرأة التي يطمع فيها · وينتهي الصراع بعد ان يبذل (الذمميون ، مفتي الذمة) والمترافعون كل ما في وسعهم للوصول الى حل توفيقي : نجد دائما حلا او تركيبـــا يناسب كافة الممثلين · وأخيرا يتوجه كل الاسرى والاسيرات مع منجيهم الى الشقق لاتمام الاجتماع ثم تتفرق المجموعة وهي تطلق صيحات « تحيا فاكمي يحيا الدين » ·

وينفذ جيش التناسق اعمالا عظيمة وجميلة رغم اهتمامه الخطير بهذه الامور المتجسدة بالصراعات بين الشرهنـــــين والمغامرات العاطفية البادية ظاهريا كالترهات وتتحول الطبيعة

مع محافظتها على هويتها بفضل هذه المآثر ويقوم العلم ببناء نفسه كما لو انعدم اللاعبون واقتصر الامر على لعبة مسيرة لذاتها • ووحدة العالم التي تعمل كلعبة آلية هي نتيجة للمبادلات الخفية بين الاطراف الذين يتكونون في كافة المناسبات لتحريك الفئات وتشجيعها •

وتتجاوز آثار هذه النشاطات كل ما يمكن ان يتوقعه الخيال في المرحلة الخامسة : فهم ما زالوا يعتقدون في بداية القرن التاسع عشر باستحالة بناء اقنية تبحر فيها السفن الضخمة في مضيقي السويس وباناما فهذه الاعمال وغيرها من الاعمال التي تفزع المتمدنين ستعتبرها الجيوش الصناعية بسيطة ••

ويأمل فورييه بامكانية « تصفية الاجواء بتكامل ثقافة الكرة الارضية » لذا يجب اعتبار اعادة تنظيم الزراعة عاملا هاما في تنقية الاجواء لان ابادة الغابات واتلافها تشوه البيئة • ويمكن للرجل الاشتراكي ايضا بفضل اطلاعه على قوانين الحياة تأصيل الحيوانات وتحسين النباتات التي يرفع العمل من قيمتها الصافية او الطبيعية •• ويتخيل فورييه وجود اربعة مراحل للتقنية الزراعية ، وفي الواقع فان الزراعة المحلية البسيطة محدودة بالتغيير الناتج عن التدجين (مثلا نوعية اللحوم المأكولة) ويعرف هذه الزراعة بالبسيطة لاكتمالها في مرحلة الحضارة التي تعرف بجزء ضئيلا من الوسائل التقنية القادرة على تحسين الاجناس النباتية والحيوانية •• ومتى استحصلنا على الزراعة العامة بدرجتها

البسيطة يمكننا مضاعفة التزاوج والاكثار منه لخلق انواع بيولوجية وجديدة ٠٠ وهذا امر مستحيل وغير ممكن في المرحلة الخامسة حيث تتجه كافة المجتمعات الى هدم بعضها البعض « فلا بد من اكتشاف نظام اجتماعي جديد لصنع الزراعة الكاملة البسيطة » ثم يصير الانتقال الى الزراعة العامة المركبة التي تنسق وتتزاوج بين المواد الكاملة في كل محلة للحصول على زراعة محلية مركبة باستعمال الوسائل التقنية التي توفرها الدولة الاشتراكية ٠٠ ويرى فورييه ابعد من ذلك « فالهواء هو حقل يخضع كالاراضي تماما الى الاستثمار الصناعي ٠٠ ولمهمة اعادة توزيع النجوم مهمة انسانية ايضا » ٠

الفصل الرابع

الخلق الاجتماعي

١ ـ اللـــه والنـــاس

٢ ـ مصـــير الاهــواء

٣ ـ سعـــادة العيـــش

الخلاصــــة رقـــم ٢

الخلـق الاجتماعـي

١ ـ اللـه والنـاس

الاعمال العظيمة ليست حكرا على كرتنا ·· فهي يجب ان تسمح بتطوير العلاقات الحيزية الفضائية الضرورية لتحقيق « انسجام وتوازن الكرات السماوية » ·· ولكن لا بد قبـل تحسين بذور بقية الكواكب من اتمام تحويل الارض التي يقول فوربيه ان « حاجة الخلق تحركها » · في المرحلة الحضارية كالطبيعة نفسها ·· « تلد الطبيعة التي تستخف بزهرة الحقول وثمار الغابات ، فهي تخلقها لتتحالف مع صناعتنا ، لتجمـّل ولتحسن اعمال الانسان وتنتج له الثمار والزهور المركبـة كمكافأة له على الجهود التي يبذلها ·· وهذه اناقة مفرطة من الطبيعة التي تحكم لعبة الاهواء المثابرة : فهي توزع الاشياء والناس حسب الفئات مع الحفاظ على بعض الاستثناءات في تصنيفاتها حتى يتضامن الانسان مع حركتها المنظمة ·· هذا هو السبب الذي يدفع فوربيه الى التنبؤ باختراق الانسـان لتسلسل الانظمة ، والتي تقوم مهمتها على ادخال النظـام المتسلسل بصورة مصطنعة في كافة الامور التيلم توفر الطبيعة وسائل اقامتها ·· والله هو جزء من هذه الطبيعة التي لـم تكتمل وهو مثلها لن يملك واقعا حقيقيا الا حين يؤلف الانسان بين قدرته الجذرية والجاذبية كما هي حال الذكاء الذي لـن ينطلق تماما قبل اتحاد الحركة الالهية معه ·

فاذا تركنا الحيوانات الداجنة للطبيعة البسيطة تقـل نوعية نتاجها ·· ذلك ان الله يترك كالطبيعة مجال تكملـة الاشياء للكائنات التي يريد ان يجعل منها شريكة له لا عبدة لـه ·· فهو يريد ان يترك لصناعتنا وعقلنا فخر التدخـل لمنافسته ·· الله لا يحب الارض البور ويكره البطالة فمصير الانسان الحقيقي هو المشاركة في الاعمـال الالهية واتخاذ المبادرة في اعمال مختلفة ··

ولا تفرض هذه المشاركة على احد فالانسان ترفعه دوافعه الى مصاف الآلهة وهي تثيره لتحقيق المعجزات في مجالـي الفضائل والعمل شرط ألا تكون هذه المسـاهمة او المؤازرة مساهمة مشتركة في عمل واحد بل ان تكون سلسلة من التجارب المنظمة هي مسابقة تقوم بتوليفة الجاذبية · او مكننة الفئات العاطفية اي باللعبة المركبـة لمجموعة من الفئات المتباينة · وتشبه الفئات في العمل الاشتراكـي قطع لعبة الورق او الشطرنج ·

لا منفعة في القطعة المنفردة ولكن مجموعها يوفر لنـا امكانية تشكيل عدد لا حصر له من التركيبات ··

ويقع الفلاسفة ورجال الدين في نفس الغلطة رغـم التناقض القائم بينهم اذ انهم يحولـون الله والانسان الى مخلوقات بسيطة بينما هم في الواقع كائنات قدر عليها التنسيق فيما بينها وللمفهـوم الفلسفي الذي يرد كافـة الامور الى الانسان او الى العقل نفس الاثر الذي يتركه المفهوم الدينـي الذي يدعي فيه الانسـان انه يهب كل شيء الى الله · فكلا

المفهومين يجعل من الله كائنا محدودا بلعبة « الجاذبيـــــة والغريزة » الصرفتين اي بدون مؤازرة العقل او المنطق ٠٠٠ وينسون ان الله هو ذكاء بقدر ما ان الانسان اندفـــــاع وحرمان ٠٠ يعني الفصل بين هذين المبدأين اللذين يكونـان الانسان هدم انسجام العالم وشروط انطلاق الاهواء وخصوصا العاطفة الخفية : فالله يرغـب في استقلال العقل الانســاني ليحاور في مباراة متساوية يدس فيها البطلان احدهما على الآخــر ٠٠

فالله يحب ان يخلق لنفسه بعض التناقضات الصغيرة المثيرة لاهتمامه كما يحب الامير ان يترك لعبده او تابعه مجالا لمباراته ومعاكسته في لعبة من اللعب ٠٠ ويشبه علماء الدين بتدخلهم بين الله والبشر نبيلا متزلفا يعتقد انه يمدح الملــك حين يسر الى العبد بوجوب التساهل مع الامير الذي يلاعبه ٠ ومن المؤكد ان الملك سيغضب حين يعـــرف سر هذه المكيدة ، ويعرف ان الربح بهذه الطريقة لا يعتبر ربحا ٠ وانهــــم بمحاولتهم اعطاءه كل الفرص قد حرموه من سحر الصراع ٠ كما يفقد الخادم كل لذة في اللعبة لاقتناعه بضرورة منح الملك كل فرص الربـــح ٠٠ ويتحقــق الحل الوسيط الـذي يدعــي الماورائيون البحث عنه يتحقق بالقضاء على الافتخار بالفلسفة « والتزلف اللاهوتي » ٠

يجب ان يكون الانسان شريكا لله في ادارة الحركة لا عبدا له ٠٠

وتهدم ادعاءات العقل الانساني حول قدرته على الحلول

مكان الجاذبية ليس فقط الوحدة الخارجية في علاقات الانسان بالله والعالم ٠٠ بل تهدم الوحدة الداخلية او سلام الانسان مع نفسه ٠

٢ ـ مصير الاهواء

لا يدخل الاكراه في المخططات الالهية ، لذا لا يستجيب الله للكرات الثائرة والمصرة على العيش في ظل قانون الانسان كالارض ، الا بالعقاب السلبي اي عذاب الجاذبية وهو يقضي بالشعور بحافز اللذة فقط دون ان يتضمن اي قصاص٠ فانعدام القصاص يعتبر نقصا في المعرفة ٠٠ فالله أمهر من ان يبرهن عن الثورة المقرة لدى هؤلاء الذين يعتقدون بوجوب اللجوء الى مبادىء الارهاب ليحصلوا عن طريق الخوف على ما يمكن ان ترسخه العاطفة ٠٠ يرفع العقل الشغوف بالعمل الانسان الى مصاف الآلهة وتحصل الطبيعة مقابل هذه المبادلة الدينية على صفة جذرية تجعل من الله الموازن الاعلى « والاقتصادي الاعلى » والرياضي الازلي ٠

واله فورييه ليس طبيعيا اذا اعتبرنا اقتسامه مع الانسان قدرة تحويل ما خلقه ، وايجاد التوازن بين المبادىء الثلاثة التي تكون الطبيعة المادة والروح والقوة التوزيعية او الرياضية ٠

وفي الواقع فان الطبيعة مكونة من ثلاثة مبادىء ازلية غير مخلوقة وجدت بذاتها وغير قابلة للفناء :

١ ـ الله او الفكر وهو المبدأ الايجابي والمحرك اي الجاذبية العاطفيـــة ٠٠

٢ ـ المادة وهي مبدأ سلبي ومحرك ٠٠

٣ ـ العدالة او الرياضيات وهو المبدأ المنظم للحركة ٠

تشكل معرفة التشريع الالهي حول النظام الواجب اقامته في العلاقات الصناعية والانسانية ، مصير الانسان الوحدوي او الاساسي فهي تبين انه اذا كان الله يقتصد بتوزيع الجاذبية فعليه ان يعطي الفرد الكمية الضرورية وبنسب متوازنة مع المصائر ٠٠ ويقضي الانضباط ان تكون كمية الجاذبية اندر من الاموال المخصصة لنا حتى نشعر بسحر وفرة الاموال ٠

وبحسب هذا المبدأ تكون كافة دوافعنا الجماعية وسيطة للمصائر ومفسرة للمصير الذي يحضرنا له الله ويجب علينا وفق نظرية المصير السفلي الضرورية للتوازن العام ان نطمح الى ابعد من الاموال والرغبة فيها وهي ذات صفة عالمية :

« الجاذبيات متناسبة مع المصائر » ٠

والسبيل الوحيد للسيطرة على شهواتنا التي تتعــارض بفعالية مع طريقة الاعتدال العكسي او مقاومة فخ اللذة هو الطريقة المنسجمة او الحلول الماص ٠٠

وحين لا نستطيع الاكتفاء بالتمتع بالشيء المرغوب فيه، يسمح نظام الاعتدال المباشر ، او الانسياق وراء مجموعــة

كبيرة من الملذات المتنوعة المتوازنةالواحدة بالاخرى والمضمونة بتعدديتها وتسلسلها ، يسمح بالتلهي التعويضي • ويشكل هذا الحلول الذي يخلف عن الاكراه وهو « من موازنة الاهواء » بأهواء اخرى تكون الثقالة ، يشكل هذا الحلول علما «مجهولا» في عالم الحضارة والتمدن ويدعو فورييه هذا العلم « جبر الحب » • فجبر الحب هو فن التوفيق العاطفي بين مجموعة من الرجال ومجموعة من النساء لم يسبق لها ان عرفت بعضها وهذا الفن هو مهمة ضباط العاطفة ، ويطبق المتعاطفون القوانين التي تسود توزيع الاهواء والغرائز آخذين بعين الاعتبار الواقع القائل ان الرجل العاطفي لا يحقق ذاته في المزاوجة كما يحققها في حالة الهيولي •• وذلك لتنظيم مقابلات تشبع عددا كبيرا من الاهواء بأقل كلفة ••

وفي الواقع يشكل الرجل المادي من فردين بينما يتكون الرجل الروحي من ثمانمائة وعشرة افراد •• واذا لم يتوفر خلال جلسة واحدة عدد كاف من الاجساد للاستجابة الفورية الى الاهواء التي تثيرها بتصبر الضحايا قرب المتفرغات والمتفرغين الذين تنحصر مهمتهم في رفع الضحايا اي الطامحين المبعدين عن الاجتماعات الليلية السرية • وسرعان ما ينتشر الحب كالمرض المعدي في العالم الحضاري المتمدن ويحول الغيرة الى (وحدوية) فالمتحابون سرا يشعرون بالحاجة الى نشر فرحهم واقتسامه مع الآخرين الامر الذي يشدد أواصر المودة بين الجماعات الرباعية والسداسية الخ •

٣ ـ سعادة العيش ...

متى تشكل وتنظم الازواج يتحقق تكوين الجماعات المتحابة ويمتزج الجسد والروح في وحدتهما .. وفي نظام التوازن يجري التفاضل بين كافة الامور لاتمام واكمال المطابقة والمماثلة بين الاموال المادية (تلك التي تنقسم عند توزيعها) والاموال الروحية (التي تتكاثر عند استهلاكها) هذا هو السبب الذي جعل فورييه يصنف التعليم ودراسة وممارسة الفنون الجميلة ضمن الاعمال الصناعية المادية . وتتأتى منفعة العلوم عن تلقيها من الحقيقة الموضوعية شروط تطورها فالعلوم والصناعة المتحدة دائما في النظام الاشتراكي تتوالد .

يتجه الاعلام والتحول الى ربط حركتهما ويزيد دعاة التوازن الطاقة المتوافرة .. وتميز ظاهرة الاثراء هذه ايضا الحب الذي تبذله جماعة الملائكة او العادة التي تحدد في كل بلد جماعة من الازواج التي تساعد عرضا جماعات من المحبين والمحبات بوسائل محترمة لانتاج روابط عاطفية وحمية عامة بينها .. وفي عالم التوازن لا يحرم الزوجان نفسهما في اشباعهما رغبات جماعات المحبين والمحبات ، يتوجب على الرجل الغني في العالم الحضاري التجرد من امواله لارضاء الطامحين الى الثروة والغنى .. وبينما تذل الاجناس الثلاثة بعضها البعض في العالم الحضاري يدير في النظام المركب الادنى الاعلى فالاطفال هم الذين يقدمون الحافز الاساسي الى العمل

وبعدهم تأتي النساء فهن يدفعن الرجال الى العمل (في الواقع يكون الرجل باطاعته المرأة اسعد حالا من اصدار الاوامر الى العبد) ٠

فالرضى لا ينشأ عن الحرية وحدها بل يلزمه تنسيق الوظائف مع اهواء ممارسها ٠٠

وفي عالم التوازن والانسجام تنتج الاهواء والاعمال وتسبب بعضها البعض بعد ان تم اقامة التوازن العاطفي او الاتفاق الكامل في العلاقات بين العاطفة والعمل ٠ او التنسيق الكامل في العلاقات بين العاطفة والعمل ٠٠ فينتج هذا النشاط المركب عن العلاقات العاطفية والصناعية مجتمعة وهو ذو صفة تبادلية لانه احد عوامل اتحاد الروح والجسد التي يسببها ٠٠ ولا تشكل المادة اي سد امام انطلاقة الفكر بل هي ضمانة له لان نشاطنا لا يبلغ ذروة عطائه الا عندما يتمتع جسدنا المادي بصحته الكاملة ٠

وأطباء مرحلة التوازن ليسوا من الموظفين الذين ينحصر واجبهم في مكافحة انحطاط الصحة العامة بل فنانون يتنافسون لزيادة شهية الشعب الى الدرجة الكافية لاستهلاك كميات المواد الغذائية الكبيرة التي يوفرها النظام الجديد ٠٠ وترمي الحكمة الصحية الى ايجاد نوع من التوازن في النظام الصحي والنظام السياسي ، كما انها طب عاطفي او فن التوفيق بين المصالح المختلفة واقتصاص الخلافات والقضاء عليها ٠٠٠ ومهمتنا زيادة الملذات ٠ لذا يتحول خبراء الاطعمة الى اطباء

شبه رسميين للافراد يحافظون على صحتهم عن طريق اللذة ٠٠ اطباء من دواعي فخرهم ان يشتهر شعب كل كتيبة بشهيته وكثرة استهلاكه واخيرا على عكس ما هو دائر في النظام الحضاري ينال الاطباء العاملون اتعابهم من انتاج الكتيبة العام وهو ربح يزداد بتحسن صحة سكان المقاطعة التي يتولون مسؤوليتها ٠

وترمي المسابقات الغذائية والطبية ليس فقط الى ترفيع نوع المنتوجات بل الى تحسين اذواق المنتجين وزيادة حاجات المستهلكين ٠٠

وتنتج السعادة في عالم الانسجام من استعمال الادوات التقنية او الآلية الميكانيكية بالاشتراك مع الثروات المتأتية عن التبديلات البيولوجية (التغير الاحيائي) التي وفرتها الآلية ٠ وتتحول المعدات والآلات الى اعضاء ممتدة للانسان ولا تبقى منفصلة عنه كما في النظام الحضاري حيث تنافس الآلة الانسان في العمل ٠

في المرحلة الخامسة تخرج الآليات الحركية عن سيطرة الانسان الذي يسقط الى مرتبة المخلوق البسيط نتيجة للآثار الاولى للآلية من اقتصادية واجتماعية وينتج الانسجام عن عودة الاداة الى العامل والانتاج الى المنتج باتحاد الانسان مع الآلة جسديا وعضويا ٠

ذلك ان الانسان سيعرف ايضا التحولات البيولوجية التي تنبأ بها فورييه بالنسبة للمزروعات والحيوانات بفضل الترفيع

الزراعي ·· فسيخلق في جسدنا عضـــو تزيينـــي ومكتمل « ارشي يد » وهو أداة ورمز لقوتنا في العمل اللامتناهي فهي التي ستقدم بقوتها ومهارتها المساهمة والعون لكل حركـات الجسد ·

نعاني في المرحلة الخامسة من الثقالة المعيقة للـــذة الحركة وهي النوم او الراحة فلذة العيش الحقيقية تكمن في الحركة · ويجهل عالم التوازن والانسجام السأم فهو لا يعرفه بينما يبعد حب الحياة والرغبة في اتمام المزيد من الاعمـــال حدود الموت ، سنشهد المليونير والمنغمس اليوم في ملذاتـــه ينهضـــان باكرا مع الفجـــر لتنشيط ودعـــم اعمـــال الفئة التي ينتميان اليها ·· سنراه يكد ويتعب خلال اليوم كالمحكوم عليه بالاشغال الشاقة يدور على فئاته ويشجعها بعمله وسيأسف بعد بذل كافة هذه الجهود لعجزه عن اطالة النهار الامر الذي يتيح له بذل المزيد من الاتعاب التي تكوّن سعادته ··

يرتكز النظام المركب على نجاح السياسة الصناعية او عن زيادة سعادة الشعوب بفضل تقدم اعمالها وتطورها ··

وتتأتى هذه السعادة عن انطلاقة الاهواء الاثني عشـــر التامة والمستمرة ·· التي تقضي بالتمتع بثروة كبيرة وتعدد غير متناه للملذات الامر الذي يعني كثرة الاهواء مع توفـــر وسائل اشباعها ·

ـ الخلاصـــة ـ

يتكون الاقتصاد الناتج عن الوفرة « والكرم الذي يضمنه نظام الفئات» ويدعم احدهما الآخر في نظام التوازن والانسجام

وتتيح المبادلة المستمرة بين الانفاق والربح ازدهار العنصرين ·· وتتطور هذه الظاهرة ذات الكمال الدائم تبعا لحركـــه اجزائها ، وهي تلك التي تنفخ الرغبة وتحولها الى هوى ، وهي ميل يحقق هدفه في اعادة انتاج وجوده بعد ان عجز عن تحقيقه باستهلاك موضوعه لذا يجب علينا ان نفضـــل على تحديد فورييه للمجرى بأنه اجتماع شامل للملذات المتعددة والمجتمعة في جلسة واحدة « ذلك الذي يصفه بأنه خليط من الملذات التي استشعر بها في جلسة قصيرة واحدة ، ملذات ترابطت فنيا في مكان واحد وارتفعت الواحدة بالاخـــرى وسمت بها » · توجد ضمن مركبات النظام الاشتراكي المتناسق الطائفـــة العاطفية وهي منطقية بقدر ما هي اقتصادية ·

ففي المرحلة الثامنة تستغل الملذات بعضها البعض طالما ان المآكل والألهيات لا تجتذب اكثر من العمل المنتج ·· ومن الواضح ان النوع الثاني من الملذات ينتج على حساب الاول ويكفي ان نتلهى دون توقـــف حتى لا ننفق شيئا من ميزان المدفوعـــــات ·

وكما ان الاشتراكية التعليميـــة مبنيـــة على التدريب المتبـــادل كذلك يؤثر التقـدم الصناعي والاجتماعي علـــى بعضهما البعض بفضل تقسيم العمل الاصطناعي الى فئـات ومجموعات ·· فالطبيعة والمجتمع ، الصناعة والثقافـــة الزراعة والبيئة ، الحب والعمل ، السعادة والصحة ، النظرية والتطبيق ، تساند بعضها البعض ··

يتبادل الله والناس المجتمعين في جلسات محبوكة ثرواتهم

لصالح الجميع كما تنسج الروح والمادة بتلاحمها حبكة النظام الكوني وهو نظام عادل لكونه رياضي ٠٠ فالانضباط هو سبب العدالة كما انه نتيجة وأثر لها ٠ ٠

ويساعد تصنيف الاذواق على توزيع الاعمال التي تنتج المجتمع المنسجم باشتراكها مع الالعاب الخفية ويشـــكل هذا المجتمع طائفة اي مجموعة ترتبط عناصرها اقتصاديا وجذريا وتتأثر ببعضها البعض ٠

ولا يتيح لنا وصف الانسجام العامل ما اذا كان يتوجب علينا ان نعمل لبناء الطوائف لتنشيط لعبة الاهواء او يكفي ان نحرر دوافعنا حتى تتكون الفئات الصناعية بصورة عفوية٠

واذا توصلنا الى المعارضة بين اسباب التأخر الحضاري وأسباب بقائه الا انه يبدو ظاهريا مستحيلا عزل او فرز اصل الفئة في نظم الانسجام والتوازن لتمييزها عن آثارها ٠

ويبدو النظام المركب مقاوما للتحليل والتحلل باختصار الحوافز العضوية الفئوية الثلاث وهي :

القوة الحقيقية او الاندفاع المفكر ٠٠

القوة المركبة او الاندفاع الاعمى

القوة الطائشة او حب التغيير والتبديل ٠

وتتماثل هذه المحركات الثلاثة تماماً مع الرافعات المسماة ، التدرج الملتحم والممارسة المجزأة وجلسات الاختيار القصيرة التي تمكننا من بناء النظرية سواء على الدوافع او الرافعات فهي تنتج الواحدة عن الاخرى ·· ولا يمكن فصل عمل هذه المحركات الستة او تجزئتها في فئة عاطفية ·

واذا أخذنا بعين الاعتبار الدوافع الثلاثة كأسباب والرافعات الثلاث كآثار يمكننا التحقق بوسيلتين من نظامية الفئة لان تحليلها يجب ان يوفر :

الاسباب الثلاثة تعطي الآثار الثلاثة ··

والآثار الثلاثة وقد نتجت عن تحريض الدوافع الثلاثة ·

وهذه طريقة من درجة في التدقيق فلكي يتحقق اي فرد من صحة فئة صناعية اما نظريا او تطبيقيا ، عليه اعتبار هذا الدليل ·· فتوفر الحوافز الثلاثة في فئة يضمن وجود آثارها الثلاثة والعكس بالعكس ··

الفصل الخامس

الطريقة الانتقادية

١ ـ التداخل والانتقال

٢ ـ المعرفة والدولة

٣ ـ مزرعة الابتعاد المطلق

الخلاصة رقم ٣ ٠ اسباب فورييه

١ ـ التداخل والانتقال

تتعارض الحضارة جذريا بانحصارها في الدائرة المفرغة التي تهدمها مع نظام الانسجام حيث يحرر التوازن الاجتماعي الحركة التاريخية ، ورغم ذلك يختلط كل مجتمع الى حد ما بمميزات مأخوذة من المراحل القادمة او السابقة « وتعود ندرة الاموال التي يتصف بها النظام الحضاري الى ترتيبات متناقضة مع الحضارة او معادية لها » • ويقوم فورييه بتحليل هذه التطورات لتمييز تشابكها وارتباطها وللكشف عن المرحلة الاجتماعية التي اخذت او نقلت عنها وذلك لتحسين وخلق الانتقالات والتحولات المؤدية الى الانسجام ••

فالمبهم والاستثناء لا يكونان فقط الرابطة بين مختلف الفئات في المرحلة الثامنة ، فليس التدخل او التشابك فقط صفة للتوازن والترافق في العلاقات بين الفئات فهو يبدي امكانية الانفتاح المتحرك والقصور اللغوي للحضارة نحو الافضل او الاحسن •

فالظرف والادب هما مثلا صورة معكوسة لنظام الانسجام الاشتراكي •• ورغم ان الحضارة حكر على اناس معينين في نظام الحضارة وهم العاطلون عن العمل لنقص في الترتيبات القادرة على ربطهم بالعمل المنتج لذا يرتد اثر الهوى الوحدوي هذا للنقص في انطلاقته كما حدث للعواطف والاهواء وخصوصا « الهوى العاشر » • اذا افسدت اللعبة الخفية

تتحول الى عمل سيىء تماما بينما تكون الآداب والظرف عمل حسن لم يكتمل لذا يتوجب علينا ان نميز في الاهواء المرتدة نوعين متناقضين : المتوازن المنسجم والمخرب ·· فتلك التي تؤدي الى الاتفاقات كالاداب وهي من نوع المنفيس وتلك التي توصل الى الخلافات والجرائم وهي من النوع المسيء ·· وللنوعين ميزة مشتركة وهي اعطاء صور عن الانسجام بشكل منعكس ، ووصف كل التفاصيل في لعبة الاهواء المرتدة ·

لا شيء اجدر بالدراسة من تحليل لعبة الاهواء الاثني عشرية المرتدة التي تعود من النافذة عند طردها من الباب ، فهي تظهر لنا واضحة حماقات الفلاسفة الذين يريدون قهر وكبت الطبيعة والاهواء ويبغون القضاء عليها ·

تتحول الجاذبية في الحضارة بسبب الفقر وندرة الاشباع الى حماسة متهورة في وقت يبرر فيه الفلاسفة الذين يخلطون بين المناورة والطبيعة فخطوراتهم بالتجاوزات والفساد الذي يقع ضحيته كل من يخشى نقصان الملذات ··

« فالحاجة والعوز ونظر الملذات يزيد الرغبة فيها ، الى درجة انها تجعل الفكر عاجزا عن الحكم على اللياقة الواجب احترامها لذا تكثر في المرحلة الخامسة « عادات الانابة » المتأتية عن الاحتقان كالعنف · وبعد ان يستشف فورييه بذور السعادة وراء الفساد يعود ليرتاب ويشكك في الفضائل الحضارية فهو يعتبرها امراضا تثير القلق اكثر من العادات السيئة فيقول « غالبا ما اذكر الوقائع الاخلاقية لانتقادها » فأننا استند دائما « الى الوقائع المصطنعة او الاخلاقية

فالعقل اللاتيني الذي تشتق عنه اخلاق الفرنسية يعني اعاقة انطلاقة الاهواء والغرائز « فبينما تفقد الفتيات المقيدات » « بحسن التربية » كل رغبة في العمل عند وقوعهن في الحب نرى بعض العاملات بانفلاتهن من آلاخلاق التي يروجلها بعض المتبعين بامتيازات خاصة يجدن القوة الكافية لمقاومة البلاهة فهن يكن قبل الزواج طبقة من النساء المتحررات تماما » خصوصا في المدن الكبرى ، فهن يقضين شبابهن في الانتقال من رجل الى آخر دون انيوثر ذلك على عملهن لتمتعهن بذكاء حاد • وبصورة اعم « افضل الامم هي التي تطلق فيها حرية الحب » فاهل تاهيتي كانوا قبل وصول المستعمرين من المتوحشين « الاكثر انتاجا » وذلك بالنسبة الى قلة المواردفي الجزيرة » •

ولا تزيد علاقات الحب المطلق « النشاط المنتج فقط بل تعطي ايضا القوة لهؤلاء الذين يجاهدون ضد المظالم: «فالامم الخليقة بالتقدم الاجتماعي هي تلك التي تتيح انطلاقة الحب » •

ويلاحظ فورييه ، لقد فوت العالم الحضاري الطريق الاسهل الى التقدم الاجتماعي باهماله اصلاح النظام العاطفي مع ان «الرجال يكونون اسعد حالا كلما اتسعتحقوق النساء» فيما تبدو رفيقاتهم اكثر قدرة على دعم عواطفهم وأكثر استعدادا ، للنضال ضد المستغلين ومكافحتهم واذا اتصفت الاهواء بالعنف عموما : فان تلك الاهواء التي تحرك الجماهير والتي تثير الرغبة في المقاومة هي التي ستنتصر في النهاية » •

تقوم العدالة في الاعمال المتجهة الى هدم ، النظام

المخرب ، اكثر منها في الجهود المبذولة لتعديل العواطف والاهواء وتهدئتها وهكذا نفهم السبب الذي يجعل فورييه يستشف في انتفاضات القرن التاسع عشر الشعبيه ، اشارات تحول ، بسبب ظاهرة هذه المعارك الصحية حيث يتعاون العمال لمواجهة المصائب التي يعتبرها المضطهدون طبيعية . فما يبدو في هذه الظروف ليس الصداقة الناعمة والهادئة التي تتغنى بها الاخلاق بل عاطفة ملتهبة وممتدة وفضيلة وثابة ترفع الرجال الى مرتبة يمكن تسميتها ، بالكمال الانساني المتطرف .. ولا يدوم طويلا مثل هذا الاتفاق في العالم الحضاري وهو نادر الظهور فيه ولكن يكفي ان نلقاه من حين الى اخر ليشكل اتفاقا «ممكنا ، بالنسبة للنوع الانساني اتفاقا» يمكن المراهنة على امتداده ..

هناك مخرجان مقبولان للنظام الحضاري: المخرج الاول يعتمد الطريقة المفاجئة والقسرية والمخرج الثاني يعتمد طريقة التسابق الجذابة .. ويفضل فورييه الطريقة الثانية فهو يعتبر الثورات اجوبة الاهواء اليائسة على اللعبة المنحرفة التي تعيق انطلاق هذه الاهواء ..

يجب علينا اذن استباق الثورات والعصيان المسلح وهي عمياء كالاهواء المرتدة التي تعبر عن نفسها من خلالها « يتعارض الكبت والضغط او العنف الذي يتلون احيانا بالاخلاق ، مع الطريقة الثورية وتتوالد فيما بينها – في نفس الوقت الذي تتعارض فيه مع الطريقة المتوازنة او الحلول الماص » . ليس من الضروري للترفع الى مرحلة اعلى قلب الامبراطوريات واغراقها بالدم ارتأينا وضع نظريات الفلاسفة

موضع تجربة ..

تكون العملية هنا اكثر هدوءا وبدلا من ان نعيش في الارض فسادا باسم اقامة حقوق الانسان ، نثبت بهدوء حقوق المرأة .

المعرفة والعلم والدولة

يجب ان يكون طريق الانسجام والتوازن هادئا ولا يمكن اكتشاف التحولات الا باعتماد الطريقة المنطقية المنهجية ... فعلى العقل ان يتفحص بدقة الحضارة المسحوقة بانقسامها فلا يبقى الا العناصر القادرة على الترابط في المستقبل ... ويعمد فورييه على تذكير فلاسفة عصره بأن واجبات الدراسة المنهجية هي مفاهيم فلسفية لا يعترف بها العلم نفسه ، متذكرا مؤلفات بعض الكتاب كباكون وديكارت وكونديلاك .

تتناسق الحركات الحيوانية والعضوية والمادية في نظام الاشتراكية ، وبكلمة اخرى يمكن حصول تحولات في الطبيعة بدون تغيير المجتمع فقوانين المجتمع هي ككافة الحركات منسقة مع الرياضيات ومنسجمة معها .. لذا تعتبر كل معارفنا عدا العلوم الرياضية والاختبارية اوهاما مؤسفة ..

ويعجب فورييه الذي يحاول تحديد طريقة جذرية بقدر عقلانية لعبة الاهواء المتفتحة بهذه الاقوال Shelling العالم مكون على مثال الروح الانسانية ، والتشابه تام بين اجزاء الكون ومجموعة الى درجة ان نفس الفكرة تنعكس باستمرار من الكل في كل جزء ومن كل جزء في الكل ..

ولكن لا يمكن للتماثل بين الحركات الاربع المادية والعضوية والحيوانية والاجتماعية ، والتماثل في تغييرات المادة مع النظرية الرياضية لاهواء الانسان والحيوانات ان يتحول على علم دقيق الا في عالم التوازن والانسجام .. ففي الحضارة تعتبر هذه العلوم جزءا من المعارف المجهولة او التي لم تمس بعد .. لذا يعلن فورييه انه لم يكشف عن نظريته حول نشأة الكون وطلاسمها التي تأخذ جزءا كبيرا من مؤلفه الا لتحديد تاريخ واعلان الملكية .

ويبقى القول ان هذه الرموز تحتفظ بقيمة استكشافية فعليها يترتب تحريك التصنيفات فيما تبقى تخطيطات الهانئين جامدة .. وتبين دودة القز رمز عصرنا ان النظام المركب المتمثل بالفراشة المتحررة من شرنقة الحضارة سيكون عصر التغييرات المثمرة .. ويعتبر فورييه الابتكارات المستقبلية متوقعة وقابلة للتقدير ولا يشك بامكانية فهم التاريخ الطبيعي بصورة جذرية .

فكما يثير التماثل فورييه حول مستقبل الانسانية فلا بد بالمقابل للتحولات الاجتماعية التي تنادي بها من ان تتيح قلب الانظمة والمقابلات التي يحاول وصفها بعض المفكرين المتحضرين في مرحلة الفكر العلمي الطفولية ويجب ان يتعرفه علماء نظام الانسجام والتناسق وهم من الشعراء ايضا ، في هذه المماثلات على بعض الافتراضات التي يوحي بها التأمل للخيال وتدعو للتدليل على صحتها بالتجربة .

ويشعر فورييه بابتكار فكرته خاصة عندما تسيرها التماثلات فيرد على تشكيك معاصريه بها بالشك المنهجي حيال

الحضارة وبمعطياتها الاكثر اصالة ٠ فلكوني غير متحيز الى اي مبدأ قررت ان اضع موضع شك آراء الجميع بدون اي تحيز وان أسيء الظن حتى بالترتيبات التي حـــازت على الرضى الجماعي ٠٠ مثل ديكارت وتنطوي طريقة فورييه تجنب اعتبار كثرة الكلمات غير المسموعة حجة منطقية ٠٠ فهو يأمـــر المتحضرين بالاتحاد مع الطبيعة شرط ان يكتشفوا قبل ذلـــك قوانينها التي تخفيها مغالطات « مصنعي الكلمات » فمهمـة العلماء اكتشاف مجال العلم كاملا والاعتقاد بأن شيئا لـــم يحصل طالما بقي علينا عمل واجب الانجاز ، اذ يتوجب عليهم ان يتشجعوا في غزوهم للطبيعة بنجاح نيوتن الذي يعـــود اليه فضل اكتشاف الجاذبية المادية ، وعلينا ايضا اكتشـــاف « القانون العاطفي » وعدم اعتبار الطبيعة محدودة بالوسائل التي نعرفها ومراقبة الاشياء التي نريد معرفتها لا تخيلها ٠ اذا أردنا التخلص من المضاربات الفارغة الرامية الى تشجيع الاذعان والخضوع لدى هؤلاء الذين يشعـــــرون بأنفسهم محكومين بسير الامور ومجرياتها ٠ مثلا حين يرصد احـــد الاغنياء الحضاريين جائزة يقدمها لافضل مؤلف يبحث في وسائل الوقاية من البؤس وتخفيفه يكفي الجواب الوثيق الصلة بالموضوع لاظهار عدم نفع الاكاديمية التي تأخذ على عاتقهـا امر منح الجائزة ٠ تخلق الاكاديمية كي تطيل مدة وجودهـــا سؤالين طفيليين عديمي الفائدة كأن تطلب تحديـد مضمـون البؤس والظواهر الدالة عليه ٠ ويجيب فورييه على هــذا الادعاء قائلا : « يمكن، بحق، الشك بوجود الفاقة اذا كانت مظاهرها صعبة الرؤية الى درجة انهم يقدمون مبلغا كبـيرا من المال لمن يعرف عنها ويحددها ٠٠ » بعد ان كان الموضوع

بشكله الاساسي قد دلل على وجوب الوقـــاية من العوز لا نجده وفقا للمبدأ المنهجي المزدوج الذي يقول بوجوب الوقايه من المرض لا قهره ووجوب معالجة اسباب المرض لا آثاره ٠

ويتصرف الاكاديميون الذين يمولهم الاغنياء كمحقق دعي الى البحث عن شيء أخفي في منزل مكـون من اثنـي عشر مسكن فاذا اعلن الباحث او الملحق او المستقصي قبل ان ينهي ابحاثه بأننا لم نجد الكنز المسروق في المساكـــن الثمانية المفتشة فهو لا يمكن ان يكون في اي من الاربعـة الباقية فمن الطبيعي اعتباره خائنا ضالعا مع المجرمين ٠

يدعم الفلاسفة اللصـــوص والمختلســـين بأخذهم بالاستقراءات الخاطئة بدلا من الاستنتاجات او الاستنباطات الصحيحة لذا ليس عرضيا ان يعتبر فورييه التفتيش الاكراهي احد منافذ الحضارة فهو مخصص لمكافحة التدجيل والخداع العلمي او الرخصة الممنوحة للانظمة المترددة التي تولـد كل المشاكل المتعارضة مع الوعود الحسنة التي اطلقتها بعيدا عن الانسجام والتوافق مع التجربة ٠ فوظيفة ضابطة العلوم اجبار المغالطين على تحمل المسؤولية الاختيارية ٠

واذا تمسك فورييه بقوله ان القس لا يدخل في مخططات الخالق فانه يلاحظ ان اساليب القهر تعتبر الوسيلة الوحيدة المتوفرة والمعمول بها في العالم الحضاري وهو يتساءل عما اذا لم يكن من الواجب اشباع الميل الى الاكراه الشائع لـدى المتحضرين والمسيطر عليهم الى حد ما رغم خصائصه المنعكسة والمصطنعة ٠ أفلا يجب ان يهدم هذا الميل باشباعه ٠ يجب في

الميكانيكية الاشتراكية الاستفادة من الامور السيئة والحسنة على السواء ٠

أفلا يمكن لممثلي المصلحة العامة تحويل ميل المتحضرين الى القوة بدراية وتقريب معاصريهم من نظام الانسجام والتوازن حيث تقرر كافة الامور وفقا لعادات وأهواء الغالبية؟ ويلاحظ فورييه ان الترتيبات المفروضة من قبل الحكام الذين يملكون المنطق الذي يتيح لهم امكانية ممارسة حرياتهم بصورة متحررة سرعان ما يدافع عنها هؤلاء الذين عارضوها في السابق باسم الحرية (الحرية المطلقة بفعل كل شيء) عندما يكتشفون ان هذه الوسائل القسرية تقدم الثمار الشافية ٠

٣ ـ مزرعة الابتعاد المطلق

رغم ان فورييه يعتبر نافعة وحدة العلاقات الصناعية والادارية التي أدخلها النظام المتري الموحد وقانون نابليون المدني الا انه يشك بقدرة الدولة على خلق مؤسسات متعارضة مع نظام الحضارة والتمدن ٠ وتأخذ القاعدة الثانية في نظرية فورييه بعين الاعتبار استحالة الحصول على تغييرات اساسية من قبل حكومات المرحلة الخامسة وهي تعادل بجذريتها الشك٠ فالامر يتعلق بالابتعاد المطلق الذي يقضي بالخروج عن المنهج والذي تعتمده العلوم غير الاكيدة فهذه العلوم لم تنجح في القضاء على الفاقة رغم تطورات الصناعة ٠ اذ لا يمكن للعلوم في ظل النظام الملتبس القضاء على البؤس ٠ يجب البحث عن اسباب انحلال العلم في الفقر ، فالتحول الاجتماعي يسمح وحده للعلوم غير الاكيدة بالتحول الى علوم اكيدة محددة ،

ويقترح فورييه في سبيل ذلك اسقاط النظام الحضاري بالبرهان على كون الوحدة العاطفية ممكنة بعرض مشهد الجاذبية العاطفية الجذاب على معاصريه ·

عندما تدخل الحضارة في المرحلة الخامسة تبرز في الحياة اليومية ميزات الاختناق التي أوجدتها تناقضات التطور التقني ولم تخلقها الدولة · فالحلقات والكازينوهات والنوادي الانكليزية القائمة منذ القرن الثامن عشر (حين بدأت الثورة تنشر عادة الملاهي المنفصلة عن العمل والحياة العائلية) تبرز الخطوط الرئيسية لبعض ترتيبات النظام الاشتراكي · وتبدو نادرة في القرن التاسع عشر ميزة الهرب من صالون مدني الى نواة الكتائب لان الفلاحين يشكلون غالبية السكان ٣/٤ السكان · ويهتم فورييه ببذور التناسق القائمة في القرى ليستنبط منها وسيلة عامة لتنسيق الاعمال : انتاج جبنة الغروييير في التعاونيات واستبدال الافران البيتية بالافران التجارية وتنظيم حراسة الحيوانات من قبل عدة مزارعين هي امثلة على التطور باتجاه التوفير ولو حملت واتسمت ببعض المساوىء الحضارية (كتجارة الخبز) ·

تبدأ الطريقة الانتقادية بتحليل الحضارة وتستطرد باظهار التحولات وتنتهي ببناء عالم صغير تتطور فيه ميزات الترابط والتشابك بهدوء · واذا بدا القفز من الفوضى والالتباس الى الانسجام صعبا فيمكننا التأمل بادخال الضمانات الممكنة بصورة متعاقبة ودون احداث اية صدمة سياسية فهذا الادغام هو الذي يحدد المرحلة السادسة ··

يكمن منفذ الحضارة المريح في « الهندسة الاشتراكية » التي تتطلبها « الضمانة النظرية » فعلى « الكتيبة الاختيارية القضاء على التناقض بين المدينة والقرية · ويمكن لمزرعة الابتعاد المطلق وهي مزرعة التفتح واستعمال الغرائز والجاذبيات والميزات والاذواق ان تجند الطبقة الفقيرة وتضعها في خدمة الصناعة وأن توفر التطور الايجابي للملاكين الصغار الذين اجتذبتهم ومنحتهم الارباح اذا قبل عدد كبير منهم بمنح أراضيهم مقابل اسهمهم · ويجب ألا تستقبل المزرعة الملجأ سوى اولئك الذين يملكون الاموال · فالتجربة لا تتطلب اكثر من قطعة مربعة من الارض المزروعة الخصبة ، وثمانمائة فرد وان تم اختيارهم من ضمن المجرمين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة شرط التمييز بينهم حسب درجات اعمارهم · كما يتوجب توفر والتقاء كافة العناصر النافية « للنظام الهدام » يجب كذلك ان يجذب منزل الله كافة الفقراء ·· و « منزل الله » هو الاسم الذي يطلقه الشعب على المنزل الذي يعيش فيه متمتعا بالوفرة وعدم الاكتراث ·

ولا تحصر الكتائب اهتمامها بالعاجزين بل تستقبل ايضا ومجانا الاطفال من لقطاء المدينة او القرية فتعنى بالاطفال الصغار دون مقابل وتثقف متوسطي العمر وتدفع اتعاب عملهم الذي تستحصل منه على ارباح ضخمة ·· ويكون البحث عن حل للقضية لدى الطفل لا لدى العجوز المنحل ·

لذا يتوجب علينا كلما صغرت الكتيبة التمسك بالحصول على عدد اكبر من الاطفال حتى ولو اضطررنا الى ايوائهم فالاطفال يشكلون الطبقة الوحيدة التي يمكن لها دون ضرر

أن تمارس منذ اليوم الاول تجربة الجاذبية بملء انطلاقها بهذه الطبقة هي التي تهتم بسرعة بنظام الفئات الصناعية خاصة اذا توفر عدد كبير من المطابخ « في نظام الانسجام المصمم » وعمل الاطفال دائم لا يعرف البطالة ، عمل مبادرة في الجاذبية الصناعية ، عمل مرتبط بالانتاج والاستهلاك ، عمل مؤهل لحماية الفكر الخفي ·· ويضع انشاء كتيبة الاطفال الخطوط الاولى لمختبرات علم التصنيفات الاختباريه حيث يعد الانسان الذي نشأ وفق مبادىء فورييه التربوية توزيع عناصر الطبيعة محققا التحليل المادي الحقيقي في نفس الوقت الذي يكرس فيه نفسه للعمل اللعبي من ابتكار وتأليف موسيقى · وتكوين مثل هذه الجماعات افضل من ارسال البعثات الاستعمارية العاجزة عن دفع الزنوج العبيد الى تبني النظام الحضاري الذي يرفضه كافة الاطفال · ولا يجهل فورييه ان شعوب البلدان المصنعة ترسل المستعمرين بعيدا لا لتحضير الشعوب بل للحصول على ثروات جديدة من ضمنها عمل اقل كلفة من عمل هؤلاء الذين تكونهم المرحلة الخامسة « فالعبد المشترى في السوق اقل كلفة من الطفل المتربي في البيوت » · وعلى عكس الغزو البسيط وهو الاستعمار الذي يعرف مبتكر الكتائب بداياته السيئة يقضي الغزو المركب بتأمين بعض المنافع للامم المستعمرة حتى تقدم على الاقتراع بوله على ضرورة الاندماج الفدرالي الوحدوي مع الامة الغازية ·

وتجذب المستعمرة « الداخلية » كل البلدان وكافة الامم لا الى درجة ان المستعمرة الخارجية تقرر بصورة منفردة الدخول في المرحلة المتقدمة ·· ولم تنفذ التجربة المأمول بها

فقد اضطر فورييه الى شجب محـــاولة كوندي سور فـيرج Gondé Sur Verge التي قام بها عام ١٨٣٢ بعض من ادعى اتباعه ، حتى الابنية المؤقتة للمزرعة التجريبية لم يكتمـــل بناؤها وانشاؤها فقد رفض المهندس مراعاة تعليمات فورييه ٠ وينتمي الى الانتقاد الطوباوي الانتقاد الذي يطبقه فورييه على تنافر الحضارة التي لا يمكنها التوجه الى نظرية الانسجـــام طالما ان هذه النظرية لم تتحقق او تتجسد ٠٠ ولم يسبق لاي شخص في اي مكان ان اختبر التجربة الاشتراكية ٠ والكلمـة الاخيرة حول هذا الموضع تلك التي تختصر كل نظرية فورييه المتوجه الى دعاة الحضارة بهذه الكلمات « شكوا فلا شيء اعقل من ذلك ، شكوا وجربوا قبل ان تحكموا » ٠

الخلاصــة

٣ ـ اسباب فورييه

بعد ان برهن فورييه ان جماعة الاخلاقيين تقوم بوظيفة الخصي في النظام السياسي في المرحلة الخامسة عاد واعتقد ان التجارب الاولى للميكانيكية الاشتراكية ستقتصـــر على الانسجام والتوازن الخصي ٠ ولكن النظام الحضاري تجاوز كل توقعاته واعتبر « نظرية العالم الجديد الصناعي » طوباوية رغم ان الاخلاق هي التي تعد بسعادة تعرف وتعي تماما انها عاجزة عن منحها « وتعد بهذه السعادة كمكافأة للفضائل التي تعرف انها غير قادرة على الحصول عليها ٠٠ » ويقضي الخطأ الذي يقع فيه الاخلاقيون بمواجهـة « ازدواجية العمل كحالة اساسية ، ومصير جاحد للانسان » ورغم ان هذا التحذيـر اصطناعي ولا يستنجد فورييه بما يسميه دعاة الحضــــارة

خطأ « بالطبيعة البسيطة » لتحديد منافذ الفوضى الاجتماعية بل على العكس من ذلك يميز بين طريقتين لحالة الازدواجية ومعنيين لكلمة مصطنع ٠٠ فالفرق الاساسي يكمن بين « الفكر الاخلاقي والمكر الطبيعي » لا بين الامر الطبيعي والمفتعل ٠٠ تغير الندرة الكليات بعرقلتها حركة الجاذبية ، في سبيل تشكيل عالم وحشي الطباع ، عالم تقع اجزاؤه في التناقضات تفترق وتتجه الى هدم بعضها البعض فيما تحافظ الاخلاق بدورها على دائرة العالم المفرغة العالم الذي استهلكته تناقضات الحضارة ٠ ويعيق انطلاقة الصناعة الحضارية النقص في التحولات في العلاقات الاجتماعية : لا بد من تجاوز المرحلة الخامسة كي تتمتع الانسانية بالترف لمساهمة التربية والاخلاق في اعادة تكوين « العالم العكسي » لا بد من دك المؤسسات القمعية لنقضي على العقبات التي تقف في طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي والعاطفي ٠٠ ويحقق التنظيم اللعبي للعمل الوفرة لان التجزئة الاجتماعية تعيق الصناعة الكبرى وتمنعها من توفير الثراء الممكن تُحقيقه في نظام التوازن ٠ ويولد دعاة التوازن الموزعون الى فئات عاطفية « المكر الطبيعي » الذي يقتضي دوره احلال السحر المزدوج محل ضرر الميكانيكية الحضارية المزدوج لانها تجعل من الطبيعة واقعا مزدوجا (الهيا) و (انسانيا) واقعا لا يمكن مراعاته الا مركبا ٠٠ وتبقى الحضارة والتوازن مجتمعين متماثلين لكونهما ثمرة للمكر الانساني الا انهما تتناقضان في نوعية ازدواجيتهما ٠ فكلمة مزدوجة تصلح للامور الحسنة كما تصلح للسيئة منها فهي كلمة شاملة ولا بد عند انتقالنا من الاجناس الى الانواع لا بد من استعمال كلمة تناسق

Dualiser التي تفترض تناسق وتؤمن عنصرين في الحالة الحسنة وكلمة تنافر Duplisuer للتعبير عنتناقض عنصرين في الحالة السيئة ..

وتتجه تناقضات المرحلة الخامسة وهي في اغلبيتهـــا متنافرة الى تحليل المرحلة الخامسة وتبسيطها باجبارها دعاة التمدن على اعتماد مبدأ الافراط بتبسيط الامور او « خطـــأ مواجهة كل نظام الطبيعة وفق الطريقة البسيطة » والبسيط هو المنعزل والمختزل دائما : فالعنصر الخاص بالعناصر التي يمكن له التنسيق معها ، يتجه بدوره الى القضاء على نفســه، فبدلا من ان يمارس تأثيرا ايجابيا في الخارج نجده يرتد على نفسه وعلى كل ما يحيط به ..

يعمل النشاط البسيط الذي لا ثقالة تقابله مبدئيا ضـــد نفسه .. والحركة التناقضية ليست بسيطة بصورة مطلقـة فهي مركبة نسبيا .. فالبسيط هو ثمرة خيال وأوهام دعــاة الحضارة ، فهو اسم للاشياء التي تقضي اجزاؤها على نفسها لان شيئا ما (النـدرة والاخـلاق) تعيق تكوين الشراكـــة الاقتصادية التي نتطلبها : فكل آلية مركبة نود تبسيطها لا تبلغ حد البساطة الذي نبغيه بل تتحول الى « مركب مخرب هدام » دلالة على النزاع القائم بين عنصريه ... واذا كانت نظريات المرحلة الخامسة تجهل الفرق بين المركـب الهدام « والمركب المتناسق » فذلك لان المؤسسات الحضارية لا تستطيع منـــح المفيد الممزوج بالممتع ، او ضمان التحيز المستقبلي بالتخلي عن اللذة الآنية كما تتطلب كل بنية صحيحة .. فاذا حصرنـــا اهتمامنا بالنافع فاننا لا نحصل لا على المفيد ولا على الممتع . واذا كان الله لا يريد ان يوصلنا الى الخير الا عن طريـــق

« الملذات والجاذبية » فان « الاقتصاد الاعلى » يدير الامور حتى يجعل من الوسيلة (النافعة مستقبلا) هدفا وغاية ٠ ومصدرا للسعادة الحاضرة وبالعكس ٠ وبعيدا عن طريق الله لا يبلغ الرجال الحرية بل يبقون ممزقين بين اوامر المنطق البسيط ودوافع الجاذبية الخالصة في كل نظام اشتراكي لا يعرف التنسيق بين الترف والملذات في سبيل المنفعة ٠ وتنقسم القدرية وحرية الاختيار كالطبيعة الى بسيط ومركب بسيط اذا اثر الانسان المنطق المنفرد او العاطفة المنفردة ومركب اذا توصل الانسان الى التوفيق بين العقل والجاذبية العاطفية ٠٠ ويحرك الانسانية دافعان وهما الدافع المباشر او الالتحام العفوي المسمى بالجاذبية والدافع غير المباشر او الالتحام المتبصر المتعقل المسمى « بالمنطق الايجابي » او لياقة اللذة المنظمة ٠ وتعتبر الجاذبية بصورة اساسية دافعا الهيا ويعتبر المنطق احد صفات الانسان، ولكن الانسان لا يستمع الى صوت العقل الا بالقدر الذي يدعو فيه الى تهذيب الملذات ، واشباع الجاذبية حتى عندما يدعي كالاخلاقيين تقديم العقل والمنطق على الاهواء ٠٠ ويبدو المنطق عاجزا بمجرد فصله عن الاهواء ، فالذكاء يحتاج الى عامل الجاذبية ليقوم بوظيفته وان نجح اكثر دعاة التحضر خبثا في جعل ضحاياهم يعتقدون ان المنطق الصرف هو الذي يحدد سلوكهم ، فالمنطق لا يمكنه مكافحة احد الاهواء دون الاستناد الى هوى آخر يتحالف معه بمعنى ان المنطق يتجه دائما الى احلال عاطفة مكان اخرى حتى عند استعماله القسر ولجوئه اليه فالقسر هو احد اقوى آثار الاهواء ٠٠ وهكذا نجد ان الاهواء هي التي تنتصر في كافة الحالات لا المنطق السلبي او البسيط او منطق الجاذبية

المنعزل ، فالمنطق اضعف اثنتي عشرة مرة من الاهواء وهو لا يؤثر الا بعد انتصار الاهواء وبلوغها هدفها ٠٠ ولكن في حال توافق دعوات المنطق المعتدلة مع المصالح والاهواء دون ان تعيق انطلاقتها ، يتحول المنطق الى هوى ويرتفع الرجال الى مصاف الآلهة وينجزون المعجزات ، معجزات المنطق الايجابـــي او (الايبوقيرية) التي تنسجم مع لعبة الاهواء ولا تتدخـل الا لمساعدتها واعانتها وتهذيبها ٠٠ يجب اذن التمييز بين المنطق (**الايبيقوري**) (**الايجابي** ، **المركب** ، **المتضافر**) والمنطـــق الرواقي الرزين (سلبي ، بسيط ، متنافر متضـــارب) الذي يحدد (الحكمة السلبية) او الرضى بالسوء الاقل في غياب الخير ٠٠ هذا المبدأ الذي يقدم السعادة السلبية او « غيـاب الهم » لقلة من المحظوظين في مجتمعات الندرة الطبيعيـــة او المصطنعة ٠٠

وبينما تضبط الاخلاق الاهواء يبين فورييه الشروط التي يهوى فيها المنطق ٠٠ ويضع الاخلاقيون الاهواء مقابل العمل والمنطق وينسون ان لا شيء يضاهي نشاط وجذرية الهـــوى المتطور ٠٠ وهذه العاطفـة المتعددة ليست تجريدية ماورائية ، فهي موجودة في اعمال الحضاريين متوفرة للقضاء الجذري على كل ما يمكنه ان يهدمهم ، وهي تحيا في الاعمال الخلاقة حيث يرتد على نفسه اثبات تأكيد الانسان لنفسه ٠ وتعمل هذه الجاذبية العاطفية لتحديد الفلسفة الحقيقية اي « حب الحكمة الايجابية » التي لا تقبل من اجراءات الخير الا الرضى الفردي لكل الكائنات ولا تعتـــبر خيرا الا التمتـع الفعلي وارضاء الحواس والروح التي تكون لذاتها مجتمعة حالة السعادة ٠

عبر فوربيه بايجابية عن افكاره فهو لا يقدم ابدا حلولا اخلاقية لمشاكل المرحلة الخامسة رغم علمه اليقين برغبة معاصريه ومطالبتهم بالاطلاع على السلوك الذي يتوجب عليهم مراعاته في سبيل حسن استعمال واستغلال الجزء المتبقي من المرحلة الحضارية والاستفادة منه لان الحضارة تعتم عقولهم بقدر ما تحرف انطلاقة اهوائهم وتقتصر الحلول التي يقدمها لاعلام المتحضرين ، التحولات الاجتماعية القادمة وتنبيههم اليها على بعض النصائح التطبيقية : « لا تضحوا بالخير الآني في سبيل المصلحة المستقبلية ، تمتعوا بكل لحظة ، وتجنبوا كل شراكة زواج او مصلحة لا تشبع او ترضي اهواءكم الآنية ... » والخطأ الاكثر « حضارة » الذي يمكن ارتكابه هنا هو اعتبار هذه الاقوال ارشادا او نصحا مقيتا اي « بسيطة » : ففوربيه لا يطلب ابدا التخلي عن المواربة والمناورة حتى عند بلوغه اقصى درجات الايمان بقرب القفز من الفوضى والالتباس الى الانسجام فهو يرى في القفزة بحد ذاتها « عطفة » (ابتعادا) والانعطاف والابتعاد ضروريان بصورة عامة . فالمنطق الحقيقي هو علم التهذيب العاطفي وهو يفترض ان نعرف كيف نجعل من الصبر والحلم نفسه عاطفة متلهفة . صحيح ان « الحكمة الايجابية » قوية الا انها تتساهل مع تعاقبية « البسيطة » التي تتطلبها العاطفة الفراشة من حين الى آخر – ويصبح الطراز البسيط ضروريا عند استعماله كملحق او متمم للمركب او نيابة عنه . ولكن المبدأ الاساسي هو ان المنطق الحقيقي يكون عاطفيا والعاطفة الحقيقية تكون جذرية عقلانية : فالسعادة الكاملة لا تقوم الا في الحرية المركبة الايجابية التي تعمل على تضافر عنصرين،

عاطفة الشهوة او اللذة مع المنطق الايجابي · كذلك لا بد من تنسيق وتوحيد التطبيق والنظرية حتى لا يقعد في البسيطية والاكراه وينسق ويلائم العلاقات بين المركبات في الطبيعة كما يحرك التاريخ تبادل الاعلام الدائم المستمر بين المعرفة والعمل او ما يمكن تسميته « بالحقيقة الايجابية » التي تتطابق وتتوافق مع الجاذبية والمصلحة واللذة · بما ان مفهوم فورييه هذا يقوم في كافة اعمال ونشاطات ممارسي شعائر « الاهواء الشهوانية » و « الابتعاد الكامل » (اي هؤلاء الذين يتميزون عن دعاة الحضارة بقدرتهم على المفاضلة بين ملذاتهم دون أن يتخلوا عن السعادة عندما تدعو الحاجة) يمكن ان تتحول الوفرة الخيالية في مرحلة الحضارة الصناعية الى ترف حقيقي للانسجام · وينهي فورييه تحديده للحرية بقوله : «منفذ الهوة مفتوح امامنا » ·

وباطلاق نصيحة اخلاقية : « لا نفقدن في مناقشاتنا حول الدورية وحرية الاختيار الاوقات المخصصة للمتعة » ·

ملحق

التجارب المعاصرة

١ ـ متيقظو موسكو

٢ ـ عائلة سمرهيل

٣ ـ مراهقو بكين

متيقظو موسكو

يفضل التقديم لدراسة علم جديد باظهار تناقضه مع خطأ شائع • ويميل الحضاريون الى تبسيط فكر وفلسفة فورييه وتحويلهما الى تعبير ساحر عن بعض « احلام التناسق الاجتماعي » المجردة من وسائل التنفيذ التي تحدد الطوباويات وتميز الخيال • ولا توجد نظرية فورييه بكاملها في دروس مكتشفي ومنشئي العالم الصناعي الجديد فالحركات العاطفية والاجتماعية تتجاوز ببعيد ما كتبه فورييه وما قاله هؤلاء الذين ادعوا انهم من اتباعه • فقد دللت البحوث المعاصرة حول ميزات وصفات التداخل او التشابك ، ان نظرية فورييه المطبقة وان جهلنا وسائل تطبيقنا لها تبقى اكثر حيوية من انتقادات فورييه المأخوذة بعين الاعتبار •• من ضمن الاحكام المسبقة الاساسية المعاصرة حكمان يشكلان رغم تناقضهما وبالطريقة الاكثر تخريبا بسيطتيهما • الاول يقتضي الاعتقاد بأن الحركة الاجتماعية قد تحررت بفضل ثورات الاشتراكية العلمية في روسيا (عام ١٩١٧) وفي الصين (عام ١٩٤٩) •

والثاني يقوم على اعتقاد دعاة الحضارة في الغرب بقدرة الثورة الجنسية على القضاء على العقبات والقيود امام « الحركة العاطفية » ويفسر هذه الاوهام كون المعاصرين لم يطلعوا على افكار فورييه ، ذلك ان انتقاد نظرية فورييه يذكرنا انه لا يطالب ولا ينادي بحل ثوري لمشاكل المرحلة الخامسة كما انه لا يعتقد بامكانية حصول التقدم الاجتماعي بمجرد

تحرير الاخلاق البسيط· ويؤكد فيلكس ارمان Félix Armand ورينيه موبلان René Moublan ان كتيبة فورييه وهي الشراكة الزراعية المنزلية قد تحققت بقدر ما هي قابلة للتطبيق تحت اشكال "الكولخوزات السوفياتية ويقول فيلكس ارمان : « بعد خمسة عشر عاما ثبت ان الاتحاد السوفياتي يتقدم على طريق التآلف والانسجام بفضل سياسة اكثر واقعية من استمراريه فورييه ، تلك السياسة التي حددها ستالين عام ١٩٥٢ بالاوامر الثلاثة التالية :

١ ـ اعطاء الافضلية او الاولوية لانتاج وسائل الانتاج·

٢ ـ الانتقال من نظام ملكية الكولخوز الى ملكية الدولة ·

٣ ـ ضمان تفتح الاطفال الكامل حتى يتحولوا الى صناع باعثين نشيطين للتطور الاجتماعي كي يتمكنوا من الاختيار الحر للمهنة التي يريدون دون ان يقيدوا بتقسيم العمل القائم بالنسبة لمهنة معينة ·· ولكن هل يمكن ان يكون الدور الآيل للطفولة والشباب بالنسبة للتقدم الاجتماعي في الاتحاد السوفياتي هو نفس الدور الذي يسند فورييه الى الاجيال الجديدة عندما يقول « يجب ان نبحث عن حل للمشكلة لدى الطفل لا لدى الرجل العجوز الضال » ولكن على العكس من ذلك كل شيء كان يدعونا الى الاعتقاد بأن المشروع الستاليني الذي اعلن عام ١٩٥٢ قد حكم عليه بالفشل المسبق وقبل ثلاثين عاما ·· على الاقل هذا هو الاعتقاد الذي يدفعنا

اليه قراءة التقرير حول منزل الاطفال التجريبي في موسكو (١٩٢١ ـ ١٩٢٤) الذي وضعته العالمة النفسانية السوفياتية فيرا شميدت Vera Schmidt فمبادىء العمل العامة المعمول بها في المنزل قريبة من تلك المبادىء التي تحدد التربية المتناسقة حتى انه يمكننا اعتبار تجربة فيرا شميدت مطابقة للتجربة التي كان فورييه يأمل بتنفيذها في كتيبة الاطفال ٠٠ فالامر يتعلق بالتدخل اثناء اهم مرحلة تربوية في حياة الطفل اي ، مرحلة الرضاعة ، والمطابقة المستمرة بين الملاحظات التطبيقية والقواعد النظرية ٠ يجب ان تكون مجموعات الاطفال صغيرة حتى يمكن دراستها وان يكون اعضاؤها متعددين الى درجة تسمح لهم باللعب والعيش في افضل الشروط الممكنة ٠ وتبين ملاحظات العالمة النفسانية الدقيقة حول هذا الموضوع صحة رأي فورييه بتركه امر تحديد المواصفات الافضل وتصحيح تقديراته حول افضل الوسائل لبناء الفئات للمختبرين والمجربين ٠ وتكتب شميدت ملاحظاتها قائلة « يجب ان تتضمن الجماعات المتكونة من اطفال تتراوح اعمارهم بين العام والعام والنصف من اربعة تلاميذ، والمجموعات التي تضم اطفالا في الثانية من خمسة تلاميذ والمجموعات التي تضم اطفالا في الثالثة من ستة تلاميذ ٠ اذن يستلزم الامر احترام فردية الطفل ٠ فنحن نحكم على النتائج الموضوعية لاعمال الطفل لا على الطفل نفسه ٠ واقامة افضل العلاقات الممكنة بين التلاميذ والمربين والبيئة حتى يعرفوا الاطفال بصورة افضل الى متطلبات الواقع ويعلموهم السيطرة على سياق الافراز ـ وهو ما يعرف عنه باختصار بأنه «تشجيع النجاح المستمر في التسامي» اي تحويل الغرائز التي

تعتبر من الصغائر الى عادات مترفعة اجتماعيا باشباع الميول الاستعاضية ـ وهنا تقترب فيرا شميدت من فورييه (رغـــم جهلها التام البادي به) ففورييه يســمي « الحلول الماص » « الاستعمال المفيد لكافة الاهواء المقيتة في الحضارة » ومثل المحللة النفسانية يضع فورييه ترتيبات لتشجيع تسامي «الشبق الشرجي » فهو يحتفظ بالمهمات المقيتة للعشائر الصغيرة اي اخويات الاطفال الذين يرصدهم ذوقهم لجمع الطين والبراز فهو لا يجهل وجود البعض من الفتيات والفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين التاسعة والخامسة عشرة، البعض الذي يميل الى الوساخة والقذارة • واذا بدا لنا نحن الذين اطلعنـا على فرويد ان هذه العشيرة من الاطفال **تمارس تراجعا عجيبا من** مرحلة ما قبل البلوغ الى مرحلة الشرج ، تراجعا عائدا الى التربية المملة التي تتيح عودة الالعاب الشرجية الى الظهـور خلال مرحلة ما قبل البلوغ • ويستشعر فورييه فعلا بـــأن اهمية الشرج تعـــادل اهمية الفم • فكما ان علماء النفس يؤكدون ان اتقان السيطرة العضلية يتم في المرحلة الساديـــة الشرجية كذلك تملك العشائر الصغيرة ميزة افتتاح واختتـــام اعمال القوى وهي عملية تذكرنا بالصارة « عضلة عاصرة » ففي مرحلة تهذيب العضلات الفارزة يتعلم الفرد احترام النظام بصورة قاطعة • وتنحصر مهمة العشائر الصغيرة في فرض احترام « النظام المركب » (يمارسون وظيفة مراقبة نشـــاط الجزارين) وبالاضافة الى هذه العدوانية المســـوية تشكل العشائر التعاونية المهتمة بالسيطرة على سيد العالم ، المعدن البخس الذي يدعونه الفضة • ويبين فرويد الرابطة الرمزية بين المعادن النفيسة والمواد الغائطة التي تهتم بها العشائر في

المرحلة الثامنة ·· ويتساوى مجتمع التناسق مع المجتمع اللاطبقي حيث « يصنع الكنيف العام من الذهب » وفق مزحه لينين الاخروية والبرازية ·· ويدلنا مثل العشائر الصغيرة ان فورييه يستنتج الصفة الجنسية للالعاب الطفولية ولكنه يرفض تصديقها فيجهد في طمس اذواق الاطفال المقززة ودمجها بأعمال نافعة اجتماعيا · ويكشف هذا « الحلول الماص » ليعود ويواري فورا واقع اهمية الجنس في المرحلة السابقة للتناسل·

اذن يسود في المرحلة الثامنة رقابة لحماية الطفولة او الجنس الثالث المحايد من الاطلاع السابق لاوانه على الالعاب ذات الصفة الجنسية : وهو ما يسميه فورييه المعرفة الغامضة والعلم المبهم ، ذلك ان البحث عن التشابه والتماثل في الكون سيشكل التسلية لعلماء الكرة عند تنظيمه لعجز الفرد العادي عن التصدي لمثل هذا العمل او مباشرته · فالعمل المجزأ اليوم سيتحول الى عمل جماعي غدا ·· سيؤلف الجميع الشعر لاجل الجميع · ـ على الاقل لدى البالغين ـ فاعتبارا من عمر معين يمكن لاي فرد يجد تشابها في الطبيعة نشر وتدوين اكتشافه شرط تدوين أوراق التشابه وفق اصطلاح الحب حتى لا يتمكن الاطفال من فهمها في حال عثورهم عليها ·

وتؤكد مرحلة الطهارة التي يحدد فورييه وقوعها بين الطفولة والبلوغ خشيته لرغبات المراهقين العاطفية فمهمة التسليات التي تجسدها بعض الفتيات اللواتي يحتفظن بعذريتهن حتى العشرين هي تأخير المبادرة العاطفية لدى العشائر الصغيرة باستدراك كل فضول يمكن ان يدرج الاطفال من الجنسين مبكرا في معرفة اسرار الحب ·· ويمتنع فورييه

ويعفي نفسه هو الذي افزعته اكتشافاته من التدقيق في مدى صدق الاخلاقيين عند حكمهم على مظاهر الحياة الجنسية لدى الاطفال باللااخلاقية · ويتحدث فورييه عن ابناء البورجوازيين ابناء الشرف المحتد او الطبقات الغنية فيقول « لانكبابهم على ممارسة التمارين الفكرية واهمالهم التمارين الجسدية تثور قدراتهم المادية والحيوية المخنوقة وتتفجر في الاجزاء الجنسية وتتسبب بالبلوغ المبكر ·· بينما تنعكس الامور في مرحلة التناسق حيث يبلغ دعاة الانسجام في سن اكبر من الفلاحين المتحضرين لان التدريب المتواصل والمتعاقب لكافة اعضائهم يمتص العصارة الحيوية ويؤخر اللحظة التي تسبب فيها الوفرة في العصارة والعجز عن امتصاصها لدى الفرد البلوغ المبكر او السابق للاوان الذي حددته الطبيعة · وتجاهل فورييه للحياة الجنسيةللاطفال مقصود فهو يكشف وجودها بنفيها » ·
تشكل حاسة اللمس احدى الحواس الخمس وهي شبه معدومة بتأثيرها قبل مرحلة البلوغ · فالطفل يجهل الحب وهو فرع اللمس الاساسي وهو لا يبالي بالتالي ببقية الامور المتعلقة بملذات اللمس فهو يكتفي بمقعد من الخشب وبفراش الميدان وبالقماش الخشن ويأنف من مقعد محشو وفراش من الريش ومن الفراء الثمين ·· ولا يمكن لشميدت التي اطلعت على فرويد تجنب المشكلة لذا فهي تعمد كفورييه الى اختيار ألعاب تقترحها على الاطفال حسب التحول التي تنجزه الليبيدو الطفولية ·· فالشهوة الحسية تظهر لدى الفتيات بصورة جلية وتبدو لدى بعض الصبيان ، ويحصل الاطفال لاشباع ميولهم الجنسية على كافة اللوازم المتنوعة والتي تتدرج من الناعم الى الخشن ومن اللين والرقيق الى القطني · ويضاف

الى هذه الحلقات تحريم حظر كل ما يتعلق بالشبق الشرجـي او اللعب بالبراز · لذا تقدم شميدت ضمن الادوات التي تسهل تسامي هذه الاتجاهات : التراب والدهان والماء والصلصال · يمكن لفورييه ان يستبعد في القرن التاسع عشر وهو يفتعل البراءة قضية الحياة الجنسية لدى الاطفال ولكن فيرا شميدت تبدو مضطرة الى الاعتراف بأهميتها بعد قرن وان كان هذا الامر لا يمنعها من اعداد مصير مشابه للاهواء الحسية الشابة لذلك المصير الذي وضعه فورييه لحمايتها ·· ولكن التجربة لم تسر سيرا حسنا فقد عارضت السلطات السوفياتية كجيران الفيلا" التي أقيم فيها المنزل هذه الابحـاث ·· فقد نشر هؤلاء الجيران الافتراءات حول المربيات واتهموهن باثـارة الرغبات الجنسية المبكرة لدى الاطفـال مما دفع الادارة حينذاك الى اجراء بعض التحقيقات فكان من اثرها انحرم المنزل من غالبية موارده من تقديمات الدولة رغم تقارير المحققين المتناقضـة الامر الذي دفع القيمين عليه الى اللجوء الى التضامن مع العمال الاجانب الذين استهوتهم التجربة وما لبثت محكمـة الدولة العليا ان اعادت النظر في وجود المؤسسة من أساسـه وأمرت باغلاق المنزل ·· وأسباب استحالة هذه التجربـة (لا فشلها) هي خارجية قبل كل شيء ويمكننا ان نحدد مع ويلهام ريش الحدود الاساسية لتجربة فيرا شميدت :

١ ـ غياب السياسة التربوية الهادفة الى تدريب شبان قادرين على المحافظة على مكتسبات ثورة ١٩١٧ الاشتراكية·

٢ ـ غياب الثورة الجنسية التي تقي من ردات الفعـل الاخلاقية لدى جيران المنزل ·

٣ ـ الفرق الظاهر بين نظرية علم النفس وتطبيقها ٠

وتكمن ميزة هذا التناقض الاساسية في عكس ما نراه غالبا فالتجديد يكون في الممارسة اكثر منه في النظرية خاصة وان هذه الاخيرة تعتمد مفهوم التسامي ٠٠ ويأخذ ويليام ريش على التسامي محاولته تكييف غرائز الاطفال مع المتطلبات الاجتماعية حتى ولو اقتضى الامر كبتها ٠ وهنا نجد ان فورييه يستبق ريش ويتفوق على نفسه متجاوزا تربية فرويد ٠٠ فورييه كفرويد يصف ظاهرة الكبت التي يسميها اختناقا ٠٠ فكل عاطفة مخنوقة تنتج عاطفة مقابلة هي ثقالتها ٠٠٠ والثقالة مضرة بقدر ما كانت الاصلية نافعة ، ولكن فورييه وعلى عكس فرويد يؤكد انه لا يمكن للآثار الاقتصادية لهذا الاختناق الا ان تسيء الى الناس فهي تعتبر خسارة مزدوجة للجسم الاجتماعي : خسارة الانتاج الذي كان يمكن للعاطفة تقديمه بانكبابها على العمل وفقدان المنفعة من القسر والجزاء الذي نواجه بها العاطفة الضالة في طريق الشر ٠ ويستفيد الامتصاص الذي يصفه مكتشف العشائر الصغيرة من كل اختناق ٠٠ ويدعي ريش ان الممارسة المطلقة لغرائز الاطفال هي شرط تساميها اي استعمالها الثقافي كذلك يعتبر فورييه ان الاهواء لا تتطور بصورة متناسقة الا في الحرية ٠٠ فشرط انطلاق الوحدوية وتفتح الاهواء العاطفية والتوزيعية هو اشباع الاهواء الجنسية « فلا يمكن الارتفاع بالمشاعر الى درجة التفوق الا بالاشباع المادي التام » ويمكننا الافتراض بأن دروس التجربة التطبيقية قد دفعت فيرا شميدت الى اعادة تحديد مفهوم التسامي ولكن غياب السياسة التربوية الثورية قد وضعت حدا لبحوثها ٠

لهذا السبب نقول ان النقطة الثالثة من البرنامج الستاليني لعام ١٩٥٢ قد حكم عليها بالفشل مسبقا وقبل ثلاثين عاما فاهمال الدولة السوفياتية لعلم النفس بعد عدة سنوات من الثورة الاشتراكية قد ادى بالاتحاد السوفياتي الى التخلي القسري عن تجربة تربوية غير قسرية · ظن فورييه الذي لاحظ لدى دعاة التحضر مقاومة اعنف من تلك التي كان يبديها تجاه حياة الاطفال الجنسية ان المبادرات الاولى لاطلاق الحركة الاجتماعية ستحرم من علاقات الحب الحر لتقدم صورة للتناسق المخصي ·

٢ ـ عائلة سمرهيل

ويعتبر تحفظ فورييه تجاه حياةالاطفال الجنسية تفاصيل الى جانب اكتشافات فورييه مؤلف العالم الجديد العاطفي الشجاعة حول « العادات » اي كل ما يستهجنه دعاة التحضر ويعتبرونه ضلالا · ويخشى فورييه مظاهر الحياة الجنسية (الشرجية اولا) لدى الاطفال اكثر مما يخشى الممارسة الجنسية الطفولية لدى البالغين ·· وتأخذ نظرية فورييه مصادرها مما هو اعمق من تيار علم النفس وتتجاوز المفاهيم التربوية والاخلاقية لدى فرويد التيتؤمن خطأ بفضائل الكبت · فالتسامي الوحيد القادر على النجاح هو ذلك الذي يتحقق كتسامي فورييه « دون عنف اي دون اختناق » ·

ويسمي ريش (الذي يبدو جاهلا هذه الناحية من افكار فورييه) التسامي بالطبيعي لانه لا يستغل قوى المنع الاجتماعية لتطوير الاهواء ويحافظ ريش ويتبنى الاعتقاد القائل ان التربية

التي تعتمد على التحليل النفسي لا تقوم الا في النظـــــام الاشتراكي ·· ولكن التجربة دلتـــنا ان بعض مبادىء ريش التربوية قد طبقت في بلد لم يعرف الثورة البروليتارية فقـد أسس احد اصدقاء ريشألكسندر نيل١٨٨٣ Alexandre Neil مدرسة سمر هيل Summer Hill في انكلترا · واذا كان بيت موسكو لم يستقبل الا الاطفـــال الذين تتراوح اعمارهم بين السنة الواحدة والثلاث سنوات فان منزل سمر هيل يستقبل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والسابعـــة عشر ، ويمكن لهؤلاء اللعب والرســم والدراسة وتحضـــير الامتحانات بحرية · وغالبا ما كان الاطفال يرفضون العمل لدى دخولهم الى مدرسة سمر هيل لاعتقادهم بعد قضائهـــم عدة سنوات في « المدارس المنضبطة » ان كل نشاط نافــــع هو مقيت ، لكنهم سرعان ما كانوا يكتشفـــون (ودون ان يجبرهم احد على ذلك) ان بعض الاعمـــال جذابة كاللعب فيلتفتون فجأة الى الاعداد لمستقبلهم · وبالوسع التحقق في سمر هيل من نظرية فورييه القائلة : « قد يتحول طفل لا يريد تعلم الكتابة في التاسعة الى تلميذ متفوق في الثانية عشـرة من عمره » وتختار غالبية خريجي السمر هيل المهن الفنية او اليدوية وتنجح الفئة التيتختار الدراسة الجامعية دون صعوبة كالطلاب القادمين من مدارس تقليدية ·· وبصورة عامة يندمج خريجو سمر هيل في العالم الغربي بسعادة اكبر منالاشخاص الذين عانوا من التفكك العائلي · ومعيار التأقلم مع مجتمـع المرحلة الخامسة غير محدود فالمهم هنا هو تقديم التربيـــة التطبيقية على النظرية ، كما ينصح فورييه ، والاهميـــــة النسبية المعطاة للجسد والرغبة ، والاهمية المعطاة للتجـارب

المخصصة للاستفادة من السلطة القسرية التي برهن فوربيه قبل نيل وريش عن محافظتها في المجتمعات القريبة من مرحلة الوفرة على بعض العادات الرجعية الموروثة عن مراحل الندرة كالسيطرة والاذعان ٠٠ ويعتبر نيل كفوربيه « ان افضل وسيلة للتنسيق بين العلاقات الاجتماعية تقتضي استعمال ما أمكن من الوسائل العائدة الى نطاق الجاذبية والمنتمية الى نفس درجة الغايات فهو يقول « الحب وحده ينقذ العالم والحقد لا يولد الا الحقد الذي لا يمكن شفاؤه الا بالحب المتولد عن نفسه» ٠ ويقترب هذا المفهوم من نظرية فوربيه القائلة « يرفض الله ان نجابه الجريمة بالجريمة وان نجحنا بالقضاء عليها »٠ فكل قسر او ضغط يوقع الانسان ضحية للخلافات التي تحدده الحضارة ٠٠ كذلك يعلم نيل « ان العقاب يشكل دائرة مفرغة فالضربة الخفيفة تعلم الطفل الحقد ، وتزيد البغضاء من عدوانيته الهدامة التي تبرر لجوء الآباء الى قمعه بصورة اشد » ٠

وتحقق سمر هيل ، المكان المعادي للحضارة ، منذ اليوم احلام المستقبل ، ويقترب مؤسسها من فوربيه بفضل العلاقات الآنية المستقبلية القائمة فيها ٠٠ وترتكز تربية فوربيه على المبدأ القائل بأن الاعداد للمستقبل بواسطة الامور الجميلة والحساسة والآنية افضل من الاعداد له بالكرب ٠٠ فالاطفال يحتاجون الى التمرس بالحاضر لتذوق التصرفات الجذرية ويعرف نيل مثل فوربيه الذي يقترح الانطلاق في اللذة الآنية لضمان الخير المستقبلي ، يعرف ان جودة الحياة الآنية أهم من الجهود المبذولة في التحضير للحياة المستقبلية ٠٠ ويقوم

مسرح سمر هيل حيث يمثل الاطفال الادوار التي خلقها الطلاب ويقوم بالوظيفة الاخلاقية التي أوكلها فورييه الى الاوبرا : وظيفة تحقيق التناسق بتمثيلـــه مع التأكيد على حس هذا التناسق الموسيقي • ويلاحظ نيل ان القيثارة تطيع قائـــد الاوركسترا لان اهتمامها بنجاح الحفلة يوازي ويضـــاهي اهتمامه • ويجيب فورييه على نيل مسبقا بقوله « تطغى لذة الانسان على حبه للوحدة حين يضطر الى التوقف او الاسراع في عمله او الابطاء فيه ، حين يكرس ارادته طائعة في خدمة الاوامر النبيلة التي يجل » • ويتشاور طلاب سمر هيل خلال الجمعية العامة الاسبوعية لتنظيم حياتهم المشتركة على غرار ما يحصل في الجلسات اليومية لبورصة التناسق • ويتعلق كل المساهمين بشغف بهذه المناقشات شرط ان يعي الاكبر سنا والاوعى عادة الاطفـــال بترك امر قيادتـــهم وتوجيههم الى الجماعات الاكبر سنا لذا لا بد من اعطاء الاهمية التي يولونها للنشاطات المتعلقة بفن الطبخ الاولوية التي تستحقها ••

وكتب بعض المفتشين الذين حضروا احدى الجلسات التي جرى فيها بحث قضية حرية الولوج الى المطابخ فـــي تقاريرهم يقولون « اتفق المفتشون مع المدير على اعتبـــار التجربة المكتسبة من قبل الاطفال خلال هذه المناقشة حـــول تنظيم اعمالهم الخاصة اكثر اهمية من الوقت الطويـــل الذي صرف في تقديم الحجج الواهية •• وهنا ايضا ينقلـــب مفهوم « الجذرية البسيطة » المعمول به في المرحلة الخامسة •• « فادخار الوقت هو احدى المجتمعات البخيلة التـــي تحاول الاسراع في خلق عمال مطيعين ، لانـــها تستعجـــل

تحولهم الى مأمورين مضطهدين ·· ويقول نيل « تعوّد المدرسة في عالم التمدن الطفل على اطاعة كل الطغاة والرؤساء الذين سوف يقابلهم في حياته بتعويده المبكر على التخلي عن ملذاته ·· »

منذ لحظة كان يبدو لنا ان التربية الانية تتخلى عن المواربة التي تحدد النشاط الجذري ·· والان وبعد ان زال الوهم تكمن فضيلة الاساتذة الوحيدة في قدرتهم على اعداد الاطفال ليصبحوا اسياد انفسهم ·

ويعرف فورييه ونيل مثل روسو ان « القاعدة التربوية الاهم والانفع ليست في كسب الوقت بل في ضياعه » فربح الوقت هو النتيجة الاقتصادية لهذه التربية الخيرة على المدى البعيد لاننا نعد بصورة اكيدة وسريعة مواطنين قادرين على اخذ المبادرة في السياسة المركبة ·· وهي الطريقة التي لا تثمر ، كما يعتقد فورييه ، الا بالعاطفة والتدريب ، الطريقة التي تعلم « كالطب العاطفي » في التوفيق بين المصالح المختلفة وامتصاص الخلافات والتناقضات بهدوء دون عنف · ويختصر نيل مفهومه للحرية بقوله « الحرية لا الاباحة » ويحدد فورييه مفهومه للحرية بقوله انها مرادف « للحكم المستنير المعلل كحكم الرياضي ، انها تتناقض والاباحة والنزوات » ·

وتبرهن لنا القصة الصغيرة الاتية ان هذه الحرية ليست خيالية ·· كانت الطفلة انسي تميل الى حب التعدي

على الغير قبل انتسابها الى سمرهيل وحاولت منذ وصولها الى المدرسة تنظيم حركة عصيان في صفوف الطلاب وتبعها عدد من الصغار وقرروا جميعا قطع الاشجار المثمرة ٠٠ وما هي الا لحظات حتى عادت انسي تطالب بملء ارادتها باعادة تطبيق القوانين فدعت الى جمعية عمومية برهنت خلالهـــا على جديتها ويعلق نيل على الحادثة قائلا « كانت انسي تحب النظام وتكره الفوضى الا ان التشويه لحق برغبتها فانحرفت واتجهت الى هدم السلطة عامة بعد ان عجزت عن التمييـز بين الاوامر الغريبة التي تفرضها عليها والدتها والسلطـة التي كانت ترغب بممارستها بنفسها ٠٠ اجرت انسي تطابقا اعاق تطورها ٠ فقد تشبهت واندمجت بالمعتدي وهي والدتها في وقت كان يتوجب على هذه الاخيرة تصور ورؤية العالم من خلال انسي وتجربة الفوضى التي نتجت او تولدت عـن ثورتها وكذلك موقف نيل الحيادي والمتسامـح منهـا قـــد ساعداها على التمييز بين المقاومة المحقة للاوامر او الانظمة التعسفية والرفض الاحمق او العابث للترتيبات الجذرية ٠٠ وخلافا لما يشيعه الاخلاقيون « لا تكـون الفجائيـة هدامـــة الا في النظام المخرب الهدام اي النظـام الحضـــاري ٠٠٠ فالمجتمع يجد في عواطفنا اقوى الحلفاء واعنفهم اذا استطاع اشباعنا وارضاءنا ، وتأخـذ المبادىء التربويـة في سمر هيل بعين الاعتبار حب النظام الذي لاحظ فورييه بعض مظـــاهره في ألعـــاب الاطفال « يخضـــع الاطفال الاكـثر جموحـا للنظام العسكري منذ اعطائهم عتادا وعدة جنودا ، وضبطهم في طوابير » ٠ فالتناسق المادي يسحر لب الطفـــل ولكـن المتحضرين يجهلون السمو بأطفالهم والتجاوز بهم « مرحلة

التناسق الهدام » اي مرحلة استعمال الاسلحة ·

ويتحول المتناسقون الصغار عند اكتشافهم اهواءهم المنظمة « على مسرح الاوبرا » الى نقيض الهمجيين من الكبار فالسلطة التي تدعوهم الى الانضمام الى الجيوش الصناعية لا تسبب لهم اية تعاسة ·

ويلاحظ نيل كذلك ان الاطفال يمرون دائما في « مرحلة العصابات » فهم يحبون تمثيل الحرب وحمل المسدسات والبنادق ·· ويعرف مدير سمرهيل ان منع هذه الملذات وتحظير استعمال ادوات الهدم لا يحول هذه العاطفة الى عكسها · فعندما يلعب الاطفال يستنفذون حبهم للنزاع المسلح وذلك دون ان يعانوا من ويلات الحروب نفسها ··· ويحصل ان يعبر الاطفال عن محاولات عصيان أو تمرد ضد مظهر نيل السلطوي (يعبرون عن ذلك اثناء اللعب فيدعونه الى الاستسلام او يعلنون موته بنسبة اكبر في الايام التي يؤنبهم فيها) ولكنهم سرعان ما يعرفون ان هذا السيد لا يضطهد كتائبهم خصوصا وانه يملك شخصية فذة قوية دون اي ميل الى السيطرة ·· ويمكن لطلابه ان يتعلموا منه الممارسة الاقتصادية للسلطة لانه قادر على رؤية العالم من خلال عيني الاطفال · فتشبه انسي الصغيرة بامها هو تصرف ذو صفة حضارية لانه يبقي على التطرف العدواني: فالام والابنة كانتا تتجهان في علاقاتهما الى القضاء على العدوتين الكامنتين فيهما اما التماثل الذي وفره نيل فهو من نوع التناسق ، فالشركاء يقصرون تبادلهم على الصفات التي ترفعهم وتسمو بهم · فالاستاذ يحافظ على فورية الاطفال حين ينقل اليهم رؤاه وتصوراته الواقعية نسبيا للعالم ويبدو

ان اطفال سمرهيل يتشبهون بنيل لانه هو نفسه يتشبه بهم ··

« هل يطبق نيل كافة مبادئه التربوية » انه يكتب « يجب ان تكون المدارس مختلطة لان الحياة مختلطة » تبدو سمرهيل من فئة المدارس التي يتلقى فيها الصبيان والبنات العلم معا في الصف وينامون في غرف منفصلة رغم الحرية النسبية التي يتمتع بها طلابها في اللعب باجسادهم ·· وعند مصادفة المدير لاثنين من طلابه العشاق يتوجه اليهم بقوله « لا اعرف ماذا تفعلان ·· هذا الامر لا يهمني من الناحية الاخلاقية فالقضية ليست قضية اخلاق ·· الامر يعنيني من الناحية الاقتصادية ··· فوضعك كطفل يا كات يعني نهاية مدرستي والقضاء عليها » · ويقول نيل انه لم يكن ليحتاج الى ابداء مثل هذه الملاحظة او اللجوء الى التحذير لو عرف هذان الشابان سمرهيل في وقت مبكر : فتعلقهم بالمؤسسة حينئذ كان يكفيهم كي يمتنعوا عن تعريضها لخطر الاغلاق ·· يهمل نيل الاخلاق نظريا الا انه يحددها في ممارساته التربوية باهتماماته الاقتصادية التي يمكن ان تدفعنا الى الشك بنوعية ادارة المراهقين لقواهم العاطفية الخاصة فلا يقبل هؤلاء الطلاب بسهولة متناهية التخلي عن اللذة الكبيرة التي يعترف الاستاذ بانها نشأت عن الممارسة الجنسية للحب · ونأمل ان يبرهن نيل للقراء من دعاة الحضارة الذين يحتاجون الى الاطمئنان عن مغزى هذا « الانحراف في التناسق » الذي اكد فورييه انه يمكن ان يتحول فيما خص الحب الى « بذرة تناسق » · ويبرر مدير سمر هيل تصرفاته بقوله « لا يدعي نظامي تحويل هذا المجتمع الى التناسق والبلوغ به هذه المرحلة · فاذا كان بوسعي كتابة

وقول رأيي في هذا المجتمع فانه يقضي علي بمجرد ان اجرب اصلاحه ايجابيا • ويحاربني كما يحارب الخطأ العام •

عمد نيل اولا الى تحريف النظرية لاخفاء التطبيق الذي نطلبه منه ثم عاد وادعى انه مجبر على الاكتفاء بالاقوال لانه عاجز عن التحرر بافعاله «اذا جربت مثلا اقامة مجتمع يملك فيه المراهقون حرية ممارسة حياتهم الجنسية يحكم علي بالاعدام او على الاقل بالسجن بتهمة اغواء الشباب • انا مجبر على اتمام تسوية رغم كراهيتي للتسويات فقدري هو حمل السعادة الى عدد قليل من الاطفال لا اصلاح المجتمع » • وتبدو سمرهيل عاجزة عن تكوين مثاليين ناشطين وفعالين في الحضارة رغم الجهود الكبيرة التي يبذلها مؤسسها• ويجيب نيل المتسائلين عن قدرة الاطفال الاحرار على التأقلم مع الجانب الممل من الحياة بقوله : آمل ان يصبح هؤلاء الاطفال روادا للقضاء على كل ما هو ممل •

ونيل مقتنع بانه لا يمكن القضاء على دائرة الاقتصاد المفرغة الا بمعونة افراد تربوا في اجواء الحرية مقتنع بذلك تماما كقارىء فورييه الشغوف جوزيف ديجاك الذي طالب واصر على حرية التعليم بغية بلوغ وتحقيق تعليم الحرية • لقد رفض فورييه وامتنع عنتثقيف طلابه الكبار بتطوير وتنمية مفاهيم السياسة لذا لم يسبق ان مثل اي من قدامى سمرهيل خطرا على النظام الرأسمالي رغم ان نيل يعرف ويعي تماما ان هذا النظام هو المسؤول عن الجور وعن الدائرة المفرغة التي يعادي فهو يقر « بان النظام السياسي الذي نعتمده

يجرنا الى حرب » ويتلاقى مع فورييه الذي برهن ان مجتمع المتحضرين هو مجتمع « الحرب الصناعية» ٠

وعلى خلاف ادعاء مؤسسها سمرهيل ليست مجتمعا خاليا من الطبقات في عالميعاني من النزاعالطبقي وان وجدنا فيها بعض ميزات وصفات الارتداد التناسقي « تنشأ عاداتنا الحسنة بقرارنا الذاتي فكل واحد منا مجبر على مراعاة وجهات نظر الاخرين -» وهذه الاشتراكية ليست الا الصورة المقلوبة للتنسيق الاشتراكي حيث تسود الاخلاق بالرضى الجماعي دون الحاجة الى القوانين او القصاص ٠ فمدرسة سمرهيل مدرسة خاصة ، مدرسة تقوم على الاموال والاقساط التي يدفعها اولياء الطلاب المؤمنين بمبادىء نيل التربوية ٠ كما يقدم الزوار المعجبون بهذه الطريقة المساعدات ففي السبت الاخير من كل شهر يزور الكتيبة عدد من الاشخاص (يتراوح بين المائة والمئتين) يغزونها مندهشين لعدم ملاقاة الاطفال لهم باللطف الذي يتمسك به دعاة الحضارة ٠ «لقد تنبأ فورييه بامكانية استقبال الزوار في «الكتيبة التجريبية » وعرف ان هذا القبول المشروط سيكون موضع مضاربات ومزايدات مربحة ٠ » ولم يحتج طلاب سمر هيل الى قراءة فورييه لفهم الفكر السائد في المرحلة الخامسة ٠ فهم يباشرون الاتصال الاول بهم بتدفيعهم ٠ ويحارب الكبار تطويع الزوار ولكن الصغار هم الذين يسقطون كافة السدود بمباشرتهم طلب المساعدة التقليدي لاصلاح وترميم ملاعب كرة القدم او اصلاح الدراجات النارية ٠

وهكذا نجد ان سمر هيل ليست مدرسة مستقلة فاذا كان صحيحا ان الاموال التي تملكها تدار بطريقة ديموقراطية نسبية فهي لا تحيا وتقوم وتستمر الا بفضل الناس التقليديين العاطلين عن العمل مضطهدي الاغلبية العامة والذين لم يجدوا حلا اكثر اقتصادا لقضية السلطة من ارسال اولادهم الى هذه المدرسة . واخيرا يبدو ان الرابطة لدى نيل بين الممارسة والنظرية تختلف عن تلك التي رمى اليها فورييه « يجب ان تأتي في المرتبة الثانية وأن تنشأ عن الفضول الذي ايقظته الوظائف المادية ، يجب ان يرتبط العمل في المدرسة بالعمل في المختبرات والمزارع » صحيح ان الدراسة تأتي في سمر هيل في المرتبة الثانية بعد التطبيق . ولكن الممارسة فيها تبقى اقرب الى التسلية البسيطة منها الى « الصناعة الجذابة» صحيح ان نيل يكتب قائلا انه « لا يزدري الدراسة وليؤكد انها تأتي في المرتبة الثانية بعد اللعب لانه عندما لا يرى ان الرفض الطبيعي للعمل يقتصر فقط على المهمات الكريهة دون ان يتعداها الى الجهود المبذولة لتحويل العالم بصورة نافعة . « كنت لأتساءل عما اذا كان الطفل الذي يبكي لانه منع من حراثة البطاطا طبيعيا » لقد فهم فورييه بصورة افضل من نيل ان حب العمل المنتج يظهر في سن مبكرة « لا شيء يضاهي خطأ نعت الآباء والاساتذة في مرحلة الحضارة للاطفال بالكسالى فالاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية والثالثة هم من الصناعيين الناشطين بشرط ان نعرف ونعي الحوافز التي ترغب الطبيعة في استغلالها لتمريسهم بالصناعة في الفئات العاطفية لا في مرحلة الحضارة » . لقد لاحظ نيل ان رغبة الاطفال في التعلم تتطور عند الممارسة

التطبيقية وحدها لانه يحاول ان يعبر عن رغباته بالعمل ، كما كتب فورييه «نتعلم جيدا وبسرعة ما نتعلمه حبا به او لسبب او مصالح او مصلحة مستعجلة • وتعجبنا هذه الدراسة لاننا اشركنا بها عملا •

ولم تحقق سمر هيل الرابطة العضوية بين الدراسة والوظائف المادية، صحيح ان الطلاب ينجرون الخشب ويطوعون الحديد ويصنعون السيراميك الا ان هذه النشاطات الغبطية الفنية تبقى حكرا على الاطفال الذين يتمتع اباؤهم بالثروات التي جمعت من اعمال الآخرين • كما لا ينال تشهير نيل المحق بالاعمال الكريهة بصورة جذرية من الانتاج الرأسمالي: فمنتجات سمرهيل التي تملك القيمة الاستهلاكية دون القيمة التجارية لا تعتبر بضائع وفقا لتحديدات المجتمعات الحديثة • فأية سياسة تربوية تعتمد فعلا فورييه وتهدف الى القضاء على كل ما هو ممل تعمد الى مواجهة مشاكل العمل المنتج الصناعي • ومما يحد من تجربة نيل هو كونها لم تسع الى تغيير او تبديل تحديد العمل الذي بقي قائما على افقار المجموعة وأنانية المالك ويبدو من المفيد رؤية النطاق الممنوح الى مؤسسة العلاقات الجديدة بين الممارسة والتطبيق في مجتمع يرتكز على ما كان فورييه يدعوه بنظام الملكية المركبة او اخضاع الملكية الفردية لحاجات المجموعة •

٣ ـ مراهقو بكين

تساهم المدرسة في المرحلة الحضارية بتقسيم العمل الى يدوي وفكري والحفاظ على عادات السيطرة والخضوع التي

تتطلبها الليبرالية التي يحكم تحديدها المصطنع للطفل على ابقائه كائنا غير منتج غير مسؤول كائنا بلا جنس جاهلا بالامور السياسية . ويختلف طفل سمرهيل عن الطفل العاجز الذي تخلقه التربية القسرية فهو رجل كامل نسبيا واكثر تفتحا وحرية وقدرة على الخلق من بعض البالغين الذين يولدهم مجتمع المرحلة الخامسة رغم ان هذه المدرسة ليست الا جزيرة من التناسق في عالم جائر . احد العوامل التي تمكننا من معرفة المجتمع الديمقراطي هو جدول اصول الطلاب : وتبدو قليلة حتى في البلدان الاكثر غنى نسبة الفئات الاجتماعية القادرة على ارسال ابنائها الى الجامعات والمعاهد العليا في الطبقة الشعبية العاملة . والمجتمع الذي يتساوى فيه الافراد بالتمتع بكافة الحقوق يستقبل على كافة مستويات الدراسة ابناء كل الشعب دون اخذ اصولهم الاجتماعية بعين الاعتبار لان المجتمع يكون حينذاك مجتمعا غير طبقي على الاقل انطلاقا من المفهوم القائل ان الاطفال يحصلون عند ولادتهم على نفس الحصة من التراث الثقافي الذي تراكم في الاجيال السابقة ولانعدام العائلات التي تنقل الميراث بصورة غير متساوية .

ولا يقوم مثل هذا المجتمع في أي من الامكنة ولكن يبدو ان بعض الدول تعمل على تحقيقه وتسير على هذا الطريق ونعطي مثلا جمهورية الصين الشعبية لنبين ان علاقات الماضي والحاضر تأخذ فيها شكلا يسهل الى حد ما القضاء على مظاهر السلطة « الامر الذي طالب به فورييه عندما اقترح درس الضمانات اللازمة للجاذبية » ونجد في الصين

وبعد سبعة عشر عاما من تطبيق النظام الاشتراكي فيها ان اكثر من اربعين ٪ من الطلاب يتحدرون من عائلات بورجوازية عائلات الملاك السابقيـن والرأسماليين رغم ان عددهـم لا يتجـاوز نسبة الخمسة ٪ من مجمـوع السـكان : بعد ان حـددت وظيفة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بوقف هذا الظلـم والقضـاء على تقسيم العمل الى يدوي وذهنـي ، هذا التقسيم السائد في كل مكان حيث يولد وارثو مالكـي وسائل الانتاج وقد تحددت سلطاتهم وحيث يحكم على غيـر الملاك بالعمل التابع طوال حياتهم ٠

كما نجد اليوم ان اكثر من نصف الصينيين الذين تقـل اعمارهم عن العشرين يجهلون تماما الصراعات التـي ادت الى قيام ثورة عام ١٩٤٩ الاشتراكية٠ والجيل الجديد معرض الى خطر مواجهة المستقبل دون ان يعرف كيفية الغاء الاشكال الاجتماعية البائدة التي كانت قائمة ، لذا تنظم المعارض العامة والمسرحيات التي تصور مساوىء المضطهدين فكما يساعـد اللعبة والتمثيل على مسرح اوبرا التناسق في سمرهيل على وعي الحقائق دون المعاناة منها تساهم الدراسة الحية للماسي التاريخية في كشف ميزات وصفات « الاختناق » في العادات الرجعية العائدة الـى المجتمعات القديمة فتعلـم دراسـة كونفوشيوس مثلا التمييز بين المظاهر الحسنة في ديموقراطية نظريته التربوية عن احكامه المسبقة المتناقضة والمعادية للجمع بين العمل المنتج والتربية ٠

ويؤكد معتنقو افكار ماوتسي تونغ وجوب ربط الدراسة بالنشاطات والعمل المنتج والسياسي لتفادي اخطاء الماضي

وعدم تكرارها · ويجب ان تساعد وسائل الانتاج على تحقيق احد اهداف نظرية فورييه الا وهي القضاء على الفروقـــات القائمة بين المدن والريف وبين المزارعين والعمـــال وبين الحرفيين والمفكرين · فعندما ينسق العلماء بحوثهم مـــع اعمال الفلاحين يكتسب هؤلاء حب المنطق العلمي ويغنـــون ويثرون الثقافة العامة بتجربتهم التطبيقيـة وعندما يكتـــب الادباء في الريف والمصانع يصبـح بوسعهم المســـاعدة في التعبير عن الام الشعب واعطاء الجماهير دروسا في النضال ضد المضطهدين ·· وتتيح اقامة المدارس في اماكن العمـــل والمصانع للطلاب فهم حقائق الانتاج وتسمح للعمال بالتمرس بالنشاطات الفكرية والذهنية ··

وهكذا يصبح بوسع العمال الحصول على صلاحيـات جديدة والخدمة في مجالات متعددة الامر الذي يسهل تنظيـم وتنويع المهمات الفردية · ورغم ان كل فرد لم يتوصل بعد الى ممارسة عشر او عشرين مهنة كما تتطلـــب الفراشة وكما تسمح التربية المستقبلية التي حددها ماركس عندما كتـــب مؤكـــدا ان « هذه التجربـة ستجمع بين العمـل المنتـــج وتعليم الاطفال الذين بلغوا عمرا معينا وذلـــك ليس فقـــط كوسيلة لزيادة الانتاج الاشتراكي بل كوسيلة وحيدة وفريدة لاعداد رجال كاملين · ويلاحظ الكـــاتب الذي يذكر هـــذه العبارات من كتاب رأس المال ان فورييه كان احد اوائل الذين نادوا بفكرة التوفيق بين التربية والعمل المنتج ·

ويعتبر استبدال « المنافسة المطلقة » التي تخضع الجسم الاجتماعي التي تحكم طبقة من العمال الطفيليين بالملكيـــة

الاشتراكية لوسائل الانتاج والمبادرة او لتقرير الشرط الاول لتحويل التنافرات والتناقضات الاجتماعية الى علاقات ديناميكية نشطة • اما الشرط الثاني لاجراء مثل هذا التحول وهو التنسيق بين العمل والنظرية الامر الذي يسهل تطوير ما يسميه ماوتسي تونغ « المعرفة الممتازة والكاملة نسبيا » وعندما يبرهن وجود معرفتين غير كاملتين سبق لفورييه تجديدهما : وهما من جهة الممارسة مع الجهل بالنظريات ومن جهةثانية الاخذ بالنظرية دون التطبيق فكلا الطريقتين تقعان في البسيطية والتناقض وهذا ما يؤكده ماوتسي تونغ (الذي ثقفته التجربة كما يبدو لا قراءة مؤلفات فورييه) بقوله: الاولى هي معرفة صادرة عن الكتب (كتبية) والثانية المعرفة المدركة والمجزأة وكلاهما جانبية ولا نحصل على المعرفة الممتازة والكاملة نسبيا الا باندغام الواحدة بالاخرى • فكما ان النظرية لا تجد كامل ثقتها الا في التطبيقات ؛ تلك التطبيقات التي توفرها والتي تتعلق بها في نفس الوقت كذلك لا معنى لاي عمل الا اذا نفذ من اجل هدف محدد بوضوح يفهمه الجميع ويقبلون به « فبناء الجسر لا يتمثل بالعمل المادي بل يتجاوزه ببعيد ولاقامة الجسور او الانتقال الى مرحلة التناسق لا بد من التنسيق بين التربية والعمل المنتج » فتطوير الجوانب الناقصة لدى الجماهير العمالية والفلاحية والمثقفين يجعل ممكنا التغيير الجذري للظواهر غير الجذرية الموروثة عن المجتمع القديم ، وتجنب العلاقات الوثيقة بين التطبيقيين والنظريين والمبالغات الطوباوية الخيالية التي وقع فيها بعض الكيمائيين الذين لم يأخذوا بعين الاعتبار الخبرة التي

اكتسبها الفلاحون خلال سنوات طويلة من الاحتكاك بالبيئة والارض عند اعطائهم بعض المبادىء الزراعية الجديدة ٠ يجب ان تشجع الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الانتقاد الذاتي لكل من يخطىء ليتطور لديهم المنطق الذي يتحول بدونه كل نشاط الى « مركب مخرب » ولا يقتضي الانتقاد الذاتي الندم او التفكير بل القبول بالاستعراض الموضوعي للاخطاء المرتكبة والبحث المشترك عن اسبابها ووسائل الوقاية من الوقوع فيها ٠

وتذكر هذه الترتيبات باحدى اشكال العلاقات « الاكثر اهمية في الدولة الاشتراكية » حيث منبع المنافسة والاتقان : وهذه هي حسب فورييه انواع ممارسة الانتقاد لدى دعاة التوازن عندما تتكون وتتالف مع كل من الاهواء العاطفية الاربع :

مجموعة الصداقة تنتقد الفرد عن طريق الدعابة ٠

الجماعات الطموحة ، ينتقد المتقدم كل من هو دونه بجدية ٠

الجماعات العاطفية ، يسامح الفرد تسامحا اعمى الفرد الاخر ٠

الجماعات العائلية تسامح المجموعة الفرد ٠

ويكون هذا الامر ما يسمى في الصين بالخطالجماهيري الذي يقتضي تشجيـــع المناقشات وعرض الاراء بصــورة صريحة على مجال واسع وان تم الامر بشكل اقل عنفا ممـا هو وارد في مؤلفات فورييه ٠

وهنا ايضا يولون الاهتمام « لاضاعة الوقت التي تميز التربية المتناسقة لدى فورييه والجمعيات العامة في سمرهيل: فبحضور هذه الاجتماعات والمساهمـة فيها يتعلـم الفـرد الديموقراطية عن طريق الجاذبية ٠ « يجب علينـا ان نفسر ونشرح ، ان نناقش ، ان نحلل ، ان نقدر ، ان نصنف ونعلن النتائج ، ان نشرح ونناقش ونحلل ايضا وايضا٠٠ وايضا٠٠ وهذه العملية طويلة ومملة وصعبة وتتطلب وقتا لامتناهيـا الا ان الشعب لا يعتبرها مملة لانها تقرر مصيره وتحدده ٠ وكما لو ان كاتب هذه العبارات قد اطلع على فورييه فهـو يعود ليؤكد: « هنا يكمن اهم عمل في الحركة، ان تكون مسؤولا عن التصنيفات، معناه ان تمسك السكين بيدك » وهذه الحركة هي التي تقتضي الانطلاق من الجماهير ومن ثم العودة اليها لتطوير ما يسميه ماوتسي تونغ الابداع الجماهيري العفوي التلقائي ٠

يظهر اليوم القادة السياسيون حزمهم بتأكيد تعاطفهم مع الشعب وبقلب مفهوم الاقطـاع التقليـدي حول الاحـترام البنوي والخضوع الاعمى للرؤساء ٠ « في الماضي كانـت الاولوية تعطى للامتثـال والانقيـاد والقـدرة على تخزين معلومات الكتب في الذاكرة ، ولكن من الآن وصاعدا ستعطى الاهمية للتلقائية والتجديد والجرأة ورفض الاخذ بالتقـاليد

المعمول بها » • وتدعو هذه الامور معاصرينا الى الامل في ان يتمكن الخط الجماهيري كفئة فورييه من تعليم الاجيال الجديدة حب النقاش الذي تجتاجه كل طائفة للمحافظة على بقائهـا • ويؤكد ماوتسي تونغ « لو لم يكن في الحزبتناقضات ونضالات ايديولوجية لحل الخلافات لانتهى الحزب » فحياة الحـزب هي في قدرته علـى وضع التحليلات الموضوعية فـي خدمـة « التنسيقات » التي تميز « الية الفئات العاطفية » ، هذه الالية التي تتطلب عددا متساويا من التناقضات والتنسيقات • وكما يؤكد فورييه على ضرورة التمييز بين Discozde لتناقض الهدام و « التمايز التناسقي • Discord يرى ماوتسـي تونغ (مستشهدا بلينين) ان التنافر والتضاد يختلفان فيمـا بينهما ولا يشكلان امرا واحدا ففي ظل الاشتراكيـة سيزول الاول ويبقى ويستمر العامل الثاني •

واذا كان صحيحـا ان اخرويـات فورييه وماركس تتقارب فعلينا ان نتذكر ان فورييه على عكس الثوريين يرفض ان يحول التنافر حوافز تحوله الى تناقضات • فهو لا يمكنه اعتبار التناقض الهدام من حوافز التاريخ لانه يعيق حركتـه في المرحلة الخامسة والتمايز التناسقي هو توترات مشابهـة لتلـك التي تحرك « اللعبـة الداخليـة والخارجية للمجموعات السعيدة بوجودهـا حيث نشهد استمرارية في حركـات التمايز •

هذه الآلية العاطفية المتطورة التي تتولى مهمة اثـارة وحض الجنس الانساني تبدو في مراحـل الدائرة المفرغـة اندر بوجودهـا من التنافـر المؤذي التي يصر فورييه على

اعتبارها من ميزات الاختناق الوحيدة للنـــوع النفيس أي التناسق » ·

وفي الصين يكرسون ايضا لعبة الحـــركة العاطفيـــة لصالح النشاطات التي يفترض فيها تحرير الحركة الاجتماعية ويمكن تصنيف الصين الشعبية في المرحلة السادسة لاعطائها النساء الصينيات غالبية الحقوق التي تساويها بالرجـــل · فقد جعل فورييه من درجة تحرر الجنس الاخر علامة او دلالة (والى حد ما عامـــل) التطور الاجتماعـــي « فالتطـورات الاجتماعية وتحولات المراحـــل تتم بنسبة حيـــازة النساء لحريتهن · ولكن الاطفال والنساء والرجال ما زالوا مجبرين على تقديم متطلبات الانتاج والسياسة على رغباتهم الحسية ففي الصين لم يجر بعد الجمع بين الاتفاقـــات العاطفيـــة والصناعية · ولا بد ان فورييه الذي يعرف ان في الحب كما في بقية الاهواء يسيىء كل باعث مرتد الى الصناعة سيتساءل عن الاثارة القادمة والمستجدة لاختنـاق العامل الحسي في العلاقات العاطفية ·

واذا بدا لبعض الحضاريين ان الحاجة الى اجـــراء تحول جذري في العلاقات لا تبدو جلية في الصين حيث تفرض الحاجة والعجلة في تغذية السكان تحول كافة الطاقات الـــى الانتاج والثورة فان فورييه يعتقد أنه بامكاننا التخـلي عن التزاوج لا عن البقاء فمن الواضح ـ ان الحاجة الى الملذات الحسية تسبب الفوضى الاجتماعية كالحاجة الى البقاء لكن تأثيرهما يختلـــف لاختلاف طريقة تمردهما فحاســة الـذوق تتمرد علنا في حالة الحرمان اما حاسة اللمس فتلتمس طرقا

ملتوية وضررها اكيد كضرر الاولى وان لم يظهر جليا مثلها ·
« ان تطبيق نظريات فورييه » يعني ان تنمى ميزات « الارتداد المتناسق » التي تشكل اليوم الانتقاد الجذاب الوحيد للاوهام المثالية ، تلك التي تؤلف الممارسة العاطفية مع دروس العلوم · وفي سمر هيل لا يحتاج بعض صغار المتحضرين إلى تعبئة جزء كبير من طاقاتهم للدفاع عن استقلاليتهم والتخلص من هؤلاء الذين يريدون حرمانهم من حريتهم وسلبهم اياها – ولا تتوفر لهؤلاء الصغار طوال حياتهم امكانيات تجنب الوسائل او الطرق القسرية والشرطة والمشانق والمشرعين والفلاسفة والدوائر المتطفلة التي تفرضها الدولة للابقاء على الصناعة المجزأة الكريهة · وفي الصين تقوم بعض الضمانات لحماية تحول النشاط النافع كي يصبح « طبيعيا ، متناسقا جذابا حقيقيا » ولكن يبقى عليها تحقيق التوازن العاطفي او التوفيق التام بين العلاقات العاطفية والصناعية ··

ويمكن لقراء فورييه ان يجدوا ويوجدوا « تحولات جديدة » فنحن لم نطلع الا على اثنين او ثلاثة منها ويكمن تجديد فورييه في كونه يوضح التناقضات الاساسية التي تعيق مجرى الحركة الاجتماعية والعاطفية وفورييه محق بانتظاره نشوء الوفرة عن تطور الصناعة الكبرى ولكنه يعرف ايضا ان التطور الاقتصادي متوقف ايضا على حل التناقضات التي يولدها هذا التطور ويسويها · وهو لا يجهل ان العلاقات الاجتماعية لا تتناسق فقط بزيادة الترف البسيطة بل يعلم تماما انه لا بد من عدم اعطاء الاجيال الجديدة عادة

التصرف وكأن الندرة تفرض على الناس التقاتل والتنـــازع للبقاء ويفسر التنافر القائم في مجتمعنا كون الأقليــة بــدأت تتمتــع بفضــل جهود الاجيــال الماضيــة بثــروات شبه متناسقة بينما لا تملك غالبية الانسانية المحرومة من الرساميل والعمل الا القلة • ولم يتحدد بعد بشكل نهائي مثل التشابك بين الحضارة والتناسق وان وجدت بعض الخطط التي وضعها مؤيدو فورييه بالاضافة الى بعض المناورات القائمة هنـــا وهناك •

انتهـــى

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

صدر حديثا

في سلسلة اعلام الفكر العالمي

- رينان
- برنارد شو
- غرامشي
- توماس مان
- اوغست كونت
- شتاينبك
- اوسكار وايلد
- اناتول فرانس
- رامبو
- سبينوزا
- ادغار الان بو

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

شارع نورريا - بناية حمدي وصالحة

ص.ب ٥٤٦٠ - ١١ تلفون ٢٥٦١١٠

بيروت - لبنان

الثمن :

أو ما يعادلها